علاج ظاهرة التطفيف وبخس الحقوق

من خلال سورة المطففين

د/عبدالله بن محمدالعسكر

أستاذ التفسير المشارك – كلية التربية

جامعة الأمير سطام – السعودية – الخرج

ملخص البحث باللغة العربية

ظاهرة التطفيف وبخس الحقوق إحدى الظواهر السيئة التي يعود ضررها على الفرد والمجتمع ، والحديث عن خطورتها وأسبابها وعلاجها في غاية الأهمية . وهذه الدراسة محاولة لإبراز طريقة القرآن الكريم – من خلال سورة المطففين– في علاج هذه الظاهرة . وهي عبارة عن تأملاتٍ في آيات هذه السورة الكريمة ، ومحاولةُ استنباطِ أساليبِ العلاج التي عرضتها هذه السورة بأساليبها المختلفة. وكلُّ ذلك بعد التقديم بتمهيد بين يدي السورة ، وبيان معنى التطفيف بمفهومه الشامل ،وحكمه وتحذير الشارع منه.

وقد خلص الباحث إلى أن سورة المطففين عالجت هذه الظاهرة من أول آياتها إلى آخرها بعدة أساليب ، منها ما هو مباشر ، ومنها ما ليس كذلك ، إلا أن آيات السورة جميعا تخدم هذا الهدف وإن تباينت الأساليب .

ويوصي الباحث بضرورة استنباط أساليب علاج هذه الظاهرة في السور الأخرى من القرآن الكريم والتي جاءت في ست سور عدا سورة المطففين . حتى تكتمل الدراسة لهذا الأمر البالغ الأهمية.

وقد انتهج الباحث في هذه الدراسة المناهج الثلاثة : الاستقرائي والتحليلي والاستنباطي.

الكلمات المفتاحية : التطفيف– البخس – المطففين – الحقوق– الكيل – الميزان .

ملخص البحث باللغة الإنجليزية

Summary of research

The phenomenon of not giving full measure and weight in justice and violating the right of others is one of the worst phenomena that is harmful to the individual and society .Therefore, discussing its gravity, causes and treatment is very important. This study is an attempt to highlight the Quran method through surat ul-Mutaf-fifoun in treating this phenomenon.

It is a reflection on the verses of this noble surah, and a try to elicit the treatment methods presented by the surah in its various ways.

This came after an introduction that has paved the way before talking about the surah itself. In order to show the meaning of not giving full measure and weight in justice in its comprehensive sense, the ruling regarding it and the warning of sharia against it.

The researcher has found that Surat ul-Mutaf-fifoun has dealt with this phenomenon from the beginning of the surah to its end in several ways, directly or indirectly. However, all the verses of the surah serve this goal, even if the methods differ.

The researcher recommends, for the study of this very important matter to be complete, the necessity to elicit the methods of treating this phenomenon in other chapters of the Holy Quran. Which comes in six chapters save surat ul-Mutaf-fifoun.

In this study, the researcher adopted the three approaches: inductive, analytical and deductive.

Keywords: not giving full measure and weight in justice - depriving people of their things - The ones who do not give full measure and weight in justice - rights - weighing - balance

مقدمة

الحمد لله وحده ، وصلى الله وسلم على من لا نبيَّ بعده ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعدُ:

فإن الظلم من أقبح الصفات وأرذل الخلال ، لا يتصف به إلا الأشقياءُ المحرومون ، ولا يَسعدُ به إلا التعساءُ المخذولون.

والظالم بغيضٌ عند الله وعند خلقه ، تمقُته النفوس ، وتأنفُ منه بقاع الأرض! ولذلك جاءت نصوصُ الكتاب والسنة وأقوالُ العلماء سلفاً وخلفاً تحذّر من الظلم والظالمين ، وتبيّن شؤم هذا الخُلُق الذميم وعاقبته في الدنيا والآخرة.

ومن جملة الظلمِ التطفيفُ في الميزان ، وبخسُ الحقوق ، والاستيفاءُ من الناس بما هو فوق الحقِّ المشروع ، وانتقاصُهم حقوقَهم ماديّةً كانت أو معنوية .

وكم نرى اليوم من حالات التطفيف على مستوى الأفراد والدول بما ينبئ عن حالة متردية تعيشها البشرية ، وهي نتيجةٌ حتمية حينما أُقصي كتابُ الله ، وأبعِد عن مناهج التوجيه والتربية ، فكانت هذه العاقبةُ الوخيمة ، والحال البئيسة!

ونظراً لبشاعة هذه الخَصلة في الإنسان ، وسوءِ صنيع صاحبها ؛ جاء القرآن الكريم في آيات متعدّدة محذّراً من التخلق بها ، زاجراً لمن تسوّل له نفسه الاعتداء على حقوق غيره بأنواع الزواجر والمواعظ.

وقد جعل الله تعالى في كتابه الكريم سورة كاملة تُعنى بهذا الأمر ، وتعالج هذه الظاهرة ، وهي سورة المطففين . التي تنوّعت فيها أساليب العلاج – المباشر منها وغير المباشر– تنبيهاً وتحذيراً للمطففين ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ۝٣ ﴾ [المطففين:٢-٣].

وما هذه الدراسة إلا محاولة لتجلية هذه الأساليب التي انتهجها القرآن في هذه السورة لعلاج ظاهرة التطفيف بأنجعِ ما يكون العلاج ، وأبلغ ما يكون الخطاب. ولا غرو فهو كلام الله الذي ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢ ﴾[فصلت: ٤٢].

والله المسؤول وحدَه أن يجعل هذا العمل شاهداً لنا يوم أن نلقاه ، وأن ينفع ويبارك فيما أعاننا عليه ويسَّره من إتمام هذه الدراسة المتواضعة ، التي يُرجى أن تكشف شيئاً من كنوز هذا الكتاب الكريم ، وتفيد من توجيهاته ومواعظه .

والحمد لله أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، وهو حسبنا وعليه التكلان.

مشكلة البحث: لما كان الحديث في هذه السورة الكريمة عن ظاهرة التطفيف كان من المهم تجلية هذا المعنى وبيان صور التطفيف وكيفية علاجه ؛ فكانت هذه الدراسة.

أهمية البحث وأهدافه : يمكن ذكر أهمية البحث وأبرز أهدافه من خلال التالي :

١- التذكير بخطورة ظاهرة التطفيف وبخس الحقوق وأثرها على الفرد والمجتمع .
٢- بيان المعنى الشمولي للتطفيف وعدم قصره على مسائل البيع والشراء.
٣- استنباط طريقة علاج هذه الظاهرة بأنجع الأساليب وأكثرها تأثيراً .
٤- بيان عظمة أسلوب القرآن في علاج الظواهر السيئة ومنها هذه الظاهرة.

حدود البحث: سورة المطففين.

الدراسات السابقة: بعد الرجوع لفهارس المكتبات العلمية ودور النشر ومحركات البحث في الشبكة العنكبوتية لم يجد الباحث دراسة مستقلّة اعتنت باستنباط أساليب علاج ظاهرة التطفيف في سورة المطففين.

خطة البحث : اشتملت هذه الدراسة على مقدمة ، ثم على تمهيدٍ وفصلين ، وتحت كلٍّ منها جملةٌ من المباحث على النحو التالي :

مقدمة

تمهيد (بين يدي السورة)

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : اسمُ السورة وترتيبُها في القرآن وعددُ آياتِها.

المبحث الثاني : هل السورة مكية أم مدنية؟ .

المبحث الثالث : سبب نزول السورة .

المبحث الرابع : فضل السورة.

الفصل الأول : معنى التطفيف وحكمُه.

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : معنى التطفيف .

المبحث الثاني : حكمُ التطفيف ، والتحذيرُ منه.

الفصل الثاني : علاج ظاهرة التطفيف في سورة المطففين.

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : أسلوب التهديد والتخويف بالعذاب.

المبحث الثاني : التذكير باليوم الآخر ، وبيان ما يكون فيه من أهوال.

المبحث الثالث : تبشيع صورة المطففين ، وبيان سوء صفاتهم .

المبحث الرابع : ذكر حال الأبرار وما أعدّه الله لهم من النعيم المقيم .

أهم النتائج التوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

تمهيد

بين يدي السورة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول : اسمُ السورة وترتيبُها في القرآن وعددُ آياتِها

أولاً : اسم السورة .

أما الاسم الأشهر ، والمذكور في عامة كتب التفسير ، وهو المثبت في المصاحف ، فهو سورة (المطففين) .

وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : نزلت سورة المطففين بمكة[١] .

ولم يذكرها السيوطي في عداد السور المتعددة الأسماء ، وحكاها في غير موطن (سورة المطففين) فحسب [٢].

وتسمى في غالب كتب الحديث بسورة (ويل للمطففين)[٣].

وذكر البقاعي أن من أسمائها سورة (التطفيف)[٤].

---

(١) انظر : الدر المنثور ، السيوطي (٨/ ٤٤١) ، فتح القدير ، الشوكاني (٥/ ٤٨٢).
(٢) انظر : الإتقان في علوم القرآن ، (١/ ٥١) ، (١/ ٨٠) .
(٣) انظر على سبيل المثال : صحيح البخاري (٦/ ١٦٧) ،سنن أبي داود (٢/ ٥٤٣)، سنن الترمذي (٥/ ٤٣٤).

ثانياً : ترتيبها في المصحف وعدد آياتها :

سورة المطففين هي السورة الثالثة والثمانون في عداد سور القرآن ، نزلت بعد سورة العنكبوت وقبل سورة البقرة ، وعدد آياتها ستٌّ وثلاثون آية[٥].

المبحث الثاني : هل السورة مكية أم مدنية؟ .

اختُلف في ذلك على أقوال ثلاثة :

القول الأول : أنها مكِّية ، قاله ابن مسعود ، والضحاك ، ويحي بن سلام [٦].

القول الثاني: أنها مدنية ، وهو قول ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة، ومقاتل[٧]، إلا أن أنه جاء في روايةٍ عن ابن عباس وقتادة أن آخر ثماني آياتٍ منها مكية [٨] .

القول الثالث : أنها نزلت بين مكة والمدينة . وهو قول جابر بن زيد وابن السّائب[٩].

وهذا هو الذي استحسنه الطاهر ابن عاشور ، وعلل ذلك بتعليل حسن ، حيث ذكر أن المدينة كان قد فشا فيها التطفيف بصورة واضحة – وسيأتي ما يدل على ذلك – فأراد الله تطهيرها من فساد المعاملات التجارية قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم [١٠].

---

(٤) انظر : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، البقاعي (٢١/ ٣١٠) .
(٥) انظر : الكشف والبيان ، الثعلبي (٢٩/ ٣٠) ، البيان في عدّ آي القرآن ، أبو عمرو الداني (ص: ٢٦٧) ، التحرير والتنوير ، ابن عاشور (٣٠/ ١٨٨) .
(٦) انظر : زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (٤/ ٤١٣) ، البحر المحيط ، أبو حيان (٤٢٥/١٠) .
(٧) انظر : المحرر الوجيز ، ابن عطية (٤٤٩/٥) ، زاد المسير ، (٤/ ٤١٣) .
(٨) انظر : زاد المسير (٤/ ٤١٣) ، روح المعاني ، الألوسي (١٥/ ٢٧٣) ، التحرير والتنوير(٣٠/ ١٨٧).
(٩) انظر : زاد المسير (٤/ ٤١٣).
(١٠) انظر : التحرير والتنوير (٣٠/ ١٨٨) .

المبحث الثالث : سبب نزول السورة .

جاء في سبب نزول السورة ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما: " لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا ، فأنزل الله سبحانه (ويل للمطففين) فأحسنوا الكيل بعد ذلك "[١١].

قال محمد بن كعب القُرَظي: "كان بالمدينة تجار يُطفِّفون، وكانت بياعاتهم كشبه القمار: المنابذة والملامسة والمخاطرة[١٢]، فأنزل الله تعالى هذه الآية (ويل للمطففين)، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السوق وقرأها"[١٣].

وقيل نزلت في رجل كان مشهوراً بالتطفيف .قال السدي: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة ،ومعه صاعان يكيل بأحدهما ، ويكتال بالآخر، فأنزل الله هذه الآية[١٤].

ولا يمنع أن تتعدَّد الأحداث فيكون نزول الآيات لأجل كلِّ ما ذُكِر .

---

(١١) رواه ابن ماجه ، كتاب التجارات ، باب التوقي في الكيل والوزن (٧٤٨/٢) ، حديث رقم (٢٢٢٣) .والنسائي في السنن الكبرى ، كتاب التفسير ، باب سورة المطففين (٣٢٧/١٠) ، حديث رقم (١١٥٩٠) . وابن حبان في صحيحه ، كتاب البيوع ، باب ذكر السبب الذي من أجله أنزل الله جل وعلا: (ويل للمطففين) (١١/ ٢٨٦) حديث رقم (٤٩١٩) . والحديث صححه ابن حجر في : فتح الباري (٨/ ٦٩٦) ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣٣٢) ، حديث رقم (١٧٦٠) ،وشعيب الأرناؤوط في تحقيق صحيح ابن حبان (٢٨٦/١١) حديث رقم (٤٩١٩). وانظر أيضا : الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل الوادعي (ص٢٣٢) .

(١٢) المنابذة هي: أن يقول الرجل لصاحبه: انْبِذْ إِليَّ الثوب، أو أَنْبِذُهُ إليكَ، لِيَجِبَ البَيْع .

والملامسة هي: أن يقول: إذا لمستَ ثوبي أو لمستُ ثوبك فقد وجب البيع.

والمخاطرة: من الخطر: ومن معاني الخطر: الإشراف على الهلكة.

انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (٥/ ٦) ، (٤/ ٢٦٩)، الكليات ، الكفوي (ص ٤٣٣) ، التعريفات الفقهية ، البركتي (ص٢١٧) ، (ص٢١٦).

(١٣) انظر : أسباب النزول ، الواحدي (ص٤٥٢).

(١٤) انظر : الكشف والبيان (١٠/ ١٥٠) ، أسباب النزول (ص٤٥٢)، معالم التنزيل ، البغوي (٨/ ٣٥٨) .

المبحث الرابع : فضل السورة

لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث في فضل هذه السورة ، وإنما روي في فضلها حديث لا يصح عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قرأ سورة المطفّفين سقاه الله سبحانه من الرحيق المختوم يوم القيامة"(١٥).

الفصل الأول

معنى التطفيف وحكمه

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : معنى التطفيف(١٦) .

التطفيف في اللغة مصدرٌ فِعلُه (طَفَّفَ) ،ومادة (ط ف ف) يدور معناها في اللغة حول القلّة .

يقول ابن فارس :" الطاء والفاء يدل على قلة الشيء ، يقال : هذا شي طفيف ، ويقال : إناءٌ طفَّان ، أي : ملآن ، والتطفيف : نقص المكيال والميزان"(١٧).

وفي الحديث :" إنما أنتم ولد آدم ، طفَّ الصاع ، لم تملأوه ، ليس لأحد على أحد فضل إلا بالدين"(١٨).

---

(١٥) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان (١٤٩/١٠) ، والواحدي في التفسير الوسيط (٤٤٠/٤). قال ابن حجر في تخريج أحاديث الكشاف (٤/ ١٧٣):" قال ابنُ أبي حاتم في عِلَلِه :قال أبي: سلامُ بنُ سليمٍ [وهو أحد رجال السند في هذا الحديث] هو سلامُ الطويل ، وهو متروك الحديث " . وقال الشربيني في السراج المنير (٤/ ٥٠٥) : "حديث موضوع".

(١٦) انظر في معنى التطفيف في اللغة إلى : جمهرة اللغة ،ابن دريد (١٥٠/١) ، المحكم والمحيط الأعظم ، ابن سيده (١٣٣/٩) ، لسان العرب ، ابن منظور (٩/ ٢٢٢) ، مادة (طفف) ، وانظر أيضا :الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي (١٩/ ٢٥١) ، البحر المحيط (١٠/ ٤٢٥) .

(١٧) انظر : معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس (٤٠٥/٣) مادة (طفَّ) .

قال ابن الأثير:" المعنى :كلُّكم في الانتساب إلى أب واحد بمنزلة واحدة في النقص والتقاصر عن غاية التمام ، وشبههم في نقصانهم بالمكيل الذي لم يبلغ أن يملأ المكيال" [١٩].

ويروى أنه عمر رضي الله عنه قال لرجل: ما حبسك عن صلاة العصر ؟ فذكر له عذراً ، فقال له عمر: "طفَّفتَ"[٢٠]. أي : نقصتَ.

والذي ينقص في الكيل والوزن بقدرٍ يسير يقال له: مُطفِّف[٢١].

ويمكن أن نحمل تعريف التطفيف والمراد به – كما ذكره الطبري– بأنه :" نُقصانُ الناس وبخسُهم حقوقَهم في مكاييلهم إذا كالوهم ، أو في موازينهم إذا وزنوهم عن الواجب لهم من الوفاء" [٢٢].

وههنا أمران يحسن الوقوف عندهما :

الأول : الفرق بين البخس والتطفيف:

هناك فرق لطيف بين البخس والتطفيف يمكن تجليته في أمرين اثنين :

الأول : أن البخس هو الظلم بنقص حق الآخرين، سواء أكان هذا الشيء المبخوس قليلا أو كثيرا ، فكله يطلق عليه بخس .

أما التطفيف فهو أخذ النزر اليسير من حق الآخرين ، فإذا كان كثيرا فلا يسمى تطفيفا.

---

(١٨) رواه الأمام أحمد في المسند (٥٤٨/٢٨) حديث رقم (١٧٣١٣) ، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٨١/٩) حديث رقم (٣٤٥٩) ، والطبراني في المعجم الكبير (٢٩٥/١٧) حديث رقم (٨١٤) عن عقبة بن عامر رضي الله عنه . وحسنه الألباني في : صحيح الترغيب والترهيب (١٣٤/٣) حديث رقم (٢٩٦٢) ، ومحققو مسند الإمام أحمد (٥٤٨/٢٨) .

(١٩) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٢٩/٣) .

(٢٠) رواه مالك في الموطأ (١٢/١) حديث رقم (٢٢) ، وابن الأثير في : جامع الأصول (٢٠٦/٥) حديث رقم (٣٢٦٩) عن يحيى بن سعيد .

(٢١) انظر : معاني القرآن وإعرابه ، الزجاج (٢٧٩/٥) .

(٢٢) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري (٢٧٧/٢٤) .

الثاني : التطفيف يكون بالاستيفاء إذا كان المطفّف آخذا ، وبالنّقصان إذا كان معطيا ، بينما لا يكون البخس إلا نقصانا[٢٣] .

قال الكفويّ :"كلّ ما في القرآن من بخس فهو النّقص إلّا في قوله تعالى:﴿ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠] فمعناه : حرام "[٢٤].

الثاني : الشمول في معنى التطفيف

لا ينبغي أن يُقتصر في معنى التطفيف على مسائل البيع والشراء ، وما يكون فيهما من نقصان الوزن والكيل عبر الموازين التي تكون عند الباعة في الأسواق ، فهذا كلُّه وإن كان قَطعاً من معاني التطفيف إلا أن حصره في هذا الجزء فقط من البيع والشراء هو اختزال لمعاني كثيرة ينبغي التركيز عليها ، والتذكير بها.

ولذلك فقد نوّه عدد من العلماء إلى هذا الأمر وأكّدوا عليه ؛ نظراً لأهميته البالغة في تقويم الأخلاق ، واعتدال السلوك .

قال أبو حامد الغزالي:" كل من يَنتصف لنفسه من غيره ولو في كلمة ، ولا يُنصِف بمثل ما يَنتصف فهو داخل تحت قوله تعَالَى:﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ ﴾ [المطففين: ١-٢] الآيات، فإن تحريم ذلك في المكيل ليس لكونه مكيلاً ؛ بل لكونه أمراً مقصوداً تَرك العدل والنصَفة فيه ، فهو جارٍ في جميع الأعمال ، فصاحب الميزان في خطر الويل ، وكلُّ مكلفٍ فهو صاحب موازين في أفعاله وأقواله وخطراته ، فالويل له إن عدل عن العدل ، ومال عن الاستقامة"[٢٥].

(٢٣) انظر : نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ، صالح بن حميد ، عبدالرحمن ملّوح (٩/ ٤١٨٤) .
(٢٤) الكليّات (ص٢٢٥) .
(٢٥) إحياء علوم الدين ، الغزالي (٢/ ٧٨).

ويقول الدكتور عبدالله الرحيلي :" وكيف يَتَصوَّر المرءُ أن يَنهى الإسلام عن الظلم ويحرّمه في المكيل والموزون، وهي دنيا فانية، ولا ينهى أشدّ من ذلك عن بخس الناس حقوقهم المعنوية، ويحرّمه أشد من ذلك، في حين أن هذه الحقوق تتعلق بقلب الإنسان وضميره ونفسه وإنسانيته وإيمانه وآخرته؟!"(٢٦).

والحقُّ أنهما ميزانان: ميزانٌ محسوس ، وهو الآلة التي يستعملها الباعَةُ في تجارتهم ، وميزانُ الضميرِ الإنساني ، وهو ما يستقرُّ في قلب المرء من قيمة العدل ، ومراقبة الله في أداء الحقوق . ومتى اختل أحد هذين الميزانين كان صاحبه مطفِّفاً.

ولئن كان بخس الحقِّ في حفنة طعامٍ ، أو قليلِ مالٍ يُعاقَب عليه المرءُ بما ذُكِر في هذه السورة وغيرها ، فكيف بمن يبخس الحقوق الأعظم شأناً ويطفِّفُ فيها ؟!

وأعظم البخس ، وأفحشُ التطفيفِ عدمُ القيام بحق الله تعالى.

إن كثيرا من الناس يتقلَّبُ في نعم الله صباحَ مساءَ ، ويطلب المزيد ، ولا يرضى بأن يَنقُصَ من هذه النعم شيءٌ ، وفي المقابل فهو يجعل حق الله وراء ظهره ، فلا يؤدي ما أمر الله به ، ولا يعرف فضل الله عليه! وهذا من عظيم الظلم والعياذ بالله الصلاة.

الصلاة – على سبيل المثال – وهي من حقوق الله تعالى ، يحدث فيها البخس والتطفيف ، إما بالتهاون في فعلها ، أو بعدم القيام بها على الوجه المطلوب . ولذلك عدَّا النبيُّ صلى الله عليه وسلم الذي ينقص من صلاته سارقاً! بل وصفه بأنه أسوأُ من غيره من السراق!

قال صلى الله عليه وسلم :" أسوأُ الناس سرقة الذي يسرق في صلاته"(٢٧).

وقال سلمان الفارسي – رضي الله عنه – :" الصلاة مكيال ، فمن أَوفَى أُوفِيَ له ، ومن طفّفَ فقد علمتم ما قال الله في المطففين"(٢٨).

---

(٢٦) الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها ، الرحيلي (ص١٣٨).

(٢٧) رواه أحمد في المسند (٩٠/١٨) حديث رقم (١١٥٣٢) ، وأبو داود الطيالسي في المسند (٦٦٩/٣) حديث رقم (٢٣٣٣) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٥٧/١) حديث رقم (٢٩٦٠) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . وصححه الألباني في : صحيح الترغيب (٣٤٥/١) حديث رقم (٥٢٤) .

وأما التطفيف في حق العباد وبخسهم حقوقَهم فبابٌ عَريض!

ومن أراد الله به خيراً بصَّرَه بما عليه من حقوقٍ فقام بها من غيرِ حَيفٍ ولا عدوان. وعامَل الناسَ بما يحب أن يعاملوه به. قال صلى الله عليه وسلم:" من أحب أن يُزحزح عن النار، ويُدخل الجنة، فلتأتِهِ منيَّتُه وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه"(٢٩).

ومن التطفيف ما يكون بين الراعي والرعية ، فقد يظلم الراعي رعيته ، ولا يقوم بحقهم ، ويطالبهم بالقيام بحقه موفىً غير منقوص!

وكذلك الحال عند بعض الرعية ممن يطالبون الراعي بحقوقهم ، ولا يقومون بما يكلفهم به الراعي من الأعمال والتكليفات.

ومن أمثلة التطفيف ما يكون بين الأزواج والأصدقاء ، فكثيرون يطالبون بحقوقهم ، ولا يرضون بأن يُنقَص منها شيء ، ولكنهم في المقابل لا يقومون بواجباتهم تجاه أزواجهم وأصدقائهم! عيونهم دقيقةُ الملاحظة على كل هفوة من الطرف الآخر ، لكنها تعمى عن عيوبٍ ظاهرةِ الوضوح!

وتُبصِرُ في العينِ منّي القذى وفي عينِكَ الجذعَ لا تُبصرُ!

ومن أمثلة التطفيف كذلك ما يكون في الحكم على الآخرين ، سواء أكانوا أشخاصاً أم جماعاتٍ ودولاً . فنرى البعض حين يحكم على شخص أو جهة لا يذكر إلا العيوب ، بينما يغضُّ الطرف عن الحسنات!

وهذا خلاف منهج القرآن الكريم ، المنهجِ العادل الذي ليس فيه تطفيف. قال الله تعالى: ﴿ لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ

(٢٨) رواه ابن المبارك في الزهد (٤٢٠/١) ، حديث رقم (١١٩٢)، وعبدالرزاق في المصنف (٣٧٢/٢) ، حديث رقم (٣٧٥٠) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٥٩/١) حديث رقم (٢٩٧٩) .

(٢٩) رواه مسلم ، كتاب الإمارة ، باب الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء (١٤٧٢/٣) ، حديث رقم (٤٦) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه .

﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾[آل عمران: ١١٣-١١٤] وقال عز شأنه : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ [آل عمران: ٧٥]. ويدخل في هذا الباب ما أشار إليه الشيخ عبد الرحمن السعدي بقوله:" ودلت الآية الكريمة على أن الإنسان كما يأخذ من الناس الذي له ، يجب عليه أن يعطيهم كلَّ ما لهم من الأموال والمعاملات ؛ بل يدخل في عموم هذا الحججُ والمقالات، فإنه كما أن المتناظرين قد جرت العادة أن كل واحد منهما يَحرص على ما لَه من الحجج ، فيجب عليه أيضًا أن يُبيِّن ما لخصمه من الحجج التي لا يعلمها ، وأن ينظر في أدلة خصمه كما ينظر في أدلته هو، وفي هذا الموضع يُعرَف إنصافُ الإنسان من تعصبه واعتسافه ، وتواضعُه من كِبره ، وعقلُه من سفهه ، نسأل الله التوفيق لكل خير"[٣٠].

ومن التطفيف العظيم ، والبخس الجسيم ، ما تمارسه بعض الدول المسماة بالكبرى مِن هضمٍ لحقوقِ الدول الضعيفة ، ونهبٍ لخيراتها ، واعتداءٍ على شعوبها ، وهي في مقابل ذلك تدعي أنها راعيةُ حقوق الإنسان وحامية حمى الديمقراطية!

إن سياسة هذه الدول مبنية على الكيل بمكيالين ؛ فإن كان لها حقٌّ أو بعضُ حقٍّ فإنها تكيله بمكيالٍ تستوفي فيه ما لَها وزيادة! وإن كان عليها الحقُّ كالته بمكيالٍ ظالمٍ تهضم فيه حق غيرها! ولا جرم أن هذا هو التطفيف الكُبَّار!

لهذا كان من حتماً لازماً أن تُوسَّعَ دائرةُ معنى التطفيف لتشمل ذلك كلَّه. وليكونَ علاج هذه الظاهرة بصورة أكبر كي يشمل كل هذه الأدواء ، فيحيا الناسُ حينها حياةً كريمة وَفقَ شريعة الإسلام العادلة ، ونظامِه الرّبانيِّ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

(٣٠) تيسير الكريم الرحمن (ص٩١٥).

المبحث الثاني : حكم التطفيف والتحذير منه

التطفيف في الميزان وبخس الحقوق كبيرة من كبائر الذنوب ، نظراً للوعيد الذي جاء في عدد من نصوص الكتاب والسنة لأولئك المطففين.

وقد ذكر ابنُ حجر الهيتمي التطفيفَ في جملة الكبائر ، وقال في شأن المطفِّف :" سمي مطفِّفاً لأنه لا يكاد يأخذ إلا الشيء الطفيف ، وذلك ضربٌ من السرقة والخيانة مع ما فيه من الإنباء عن عدم الأنفة والمروءة بالكلية"(٣١).

وجاءت نصوصٌ كثيرة في الكتاب والسنة وأقوال السلف تبين قبح هذه الفعلة ، وتحذر منها ، فمن ذلك أن التحذير من التطفيف والبخس ورد في سبع سور من القرآن الكريم ، واحدة منها سُميت به ، وهي سورة المطففين ، والسور الأخرى جاء ذكر التطفيف في بعض آياتها . ومن تلك الآيات :

قال تعالى:﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ ﴾[الأنعام:١٥٢].

وقال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨٥ ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وقال تعالى : ﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلٗا ٣٥ ﴾ [الإسراء: ٣٥] .وغيرها من الآيات الكريمة .

وأما السنة فقد جاء التحذير فيها صريحاً من التطفيف وانتقاص الكيل ، ومن ذلك :

(٣١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ، ابن حجر الهيتمي (١/ ٤٠٧).

قول النبي صلى الله عليه وسلم :" "يا معشرَ المهاجرين! خصالٌ خمسٌ إنِ ابتُلِيتُم بهنَّ، ونَزَلْنَ بكم -وأعوذ بالله أنْ تُدركوهنَّ-: لم تظهر الفاحشةُ في قوم قطُّ حتى يُعلنوا بها؛ إلا فشا فيهَم الطاعون والأوجاعُ التي لم تكن في أسلافِهم، ولم يَنْقُصُوا المِكيالَ والميزان؛ إلا أخذوا بالسنين وشِدَّةِ المؤنةِ وجَوْرِ السلطان، ولم يَمنعوا زَكاةَ أموالِهم؛ إلا مُنعوا القَطْر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا، ولا نَقَضوا عهدَ اللهِ وعهدَ رسولِه؛ إلا سُلِّطَ عليهم عدوٌّ من غيرِهم، فيأْخذ بعضَ ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جُعِل بأْسهم بينهم"[٣٢].

وأما السلف الصالح فقد وردت عنهم مرويات كثيرة تبين شناعة هذا الذنب ، وعقوبة صاحبه ، فمن ذلك :

ما جاء عن نافعٍ قال : كان ابن عمر -رضي الله عنهما- يمرّ بالبائع فيقول: اتقِ الله وأوفِ الكيل والوزن بالقسط ، فإن المطففين يوقفون يوم القيامة حتى إن العرق ليُلجمهم إلى أنصاف آذانهم!"[٣٣].

ونظر الفضيل بن عياض -رحمه الله- إلى ابنه عليٍّ وهو يغسل كُحلاً من دينار أراد أن يصرفه ، فجعل يُنقِّيه ويغسله من كحله ، فقال له: "يا بنيّ! فِعلك هذا أفضل من عشرين حِجة!"[٣٤].

وقال قتادة: " أَوْفِ يا ابن آدم كما تحب أن يُوفى لك ، واعدلْ كما تحب أن يُعدل لك".

وقال الفضيل: "بَخسُ الميزانِ سوادٌ يوم القيامة!"[٣٥].

وكان بعضهم يقول : لا أشتري الويلَ من الله بحبة ، فكان إذا أخذ نقصَ نصفَ حبة ، وإذا أعطى زادَ حبةً ، وكان يقول: ويلٌ لمن باع بحبةٍ جَنّةً عرضها السموات والأرض ، وما أخسرَ من باع طوبى بويل!"[٣٦].

---

(٣٢) رواه ابن ماجه ،كتاب الفتن ، باب العقوبات (٢/ ١٣٣٢) ، حديث رقم (٤٠١٩) ، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ٣٣٤) ، والبيهقي في شعب الإيمان واللفظ له ، كتاب الزكاة ، باب التشديد على منع الزكاة (٥/ ٢٣) حديث رقم (٣٠٤٢) ، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٤٦٨) حديث رقم (٧٦٤).

(٣٣) انظر : الكشف والبيان (٢٩/ ٤٣) ، معالم التنزيل (٨/ ٣٦٢) ، الكشاف ، الزمخشري (٦/ ٣٣٤) .

(٣٤) انظر : قوت القلوب ، أبو طالب المكي (٢/٤٤٠).

(٣٥) انظر الأثرين في : الكشاف (٤/ ٧٢٠) ، لباب التأويل ، الخازن (٤/ ٤٠٣).

إنها رسائل نذارة لكل مطففٍ باخس للحقوق ، فاعتبروا يا أولي الأبصار .

الفصل الثاني

علاج ظاهرة التطفيف في سورة المطففين

من خلال التأمل في آيات هذه السورة الكريمة نجد ترابطاً بين آياتها ، وانسجاماً بين فقراتها ، يبدأ بالحديث عن المطففين ، وما يمارسونه من ظلم وبخس لحق غيرهم ، ثم يثني ببيان عقوباتهم التي تنتظرهم في الآخرة ، وفي مقابل ذلك يحكي صورةً من نعيم الأبرار الذين كان هؤلاء المجرمون يسخرون منهم ، ثم يختم الآيات بإعلان انتصارِ الأبرار المتقين وضَحِكِهم على أولئك الجشعين السادرين في غيهم وضلالهم.

وقد انتهج القرآن الكريم في هذه السورة أساليبَ متنوعة لعلاج ظاهرة التطفيف وبخس الحقوق ، منها ما هو صريح مباشر ، ومنها ما ليس كذلك . ويمكن بيان ذلك من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول : التهديد والتخويف بالعذاب

ويتضح ذلك من خلال ما يلي :

١- افتتاح السورة بكلمة (ويل) .

والابتداء بهذا الأسلوب المزجر هو بمثابة إعلان الحرب على المطفّفين، وتوعُّدٌ لهم بالعذاب والعقاب.

والوعيد عادةً إذا صدر من صاحب قوة وبطش كان أثره على النفس شديداً ، فكيف إذا كان هذا الوعيد صادراً من ملك الملوك ، وعالم الغيب والشهادة ؟! الذي أمرُه نافذٌ في السماوات وأقطارها ، والأرضين وفجاجها ، لا يقدر أحدٌ على ردِّ أمره ، ولا يقوى قويٌّ على احتمال سطوته وعذابه!

واختلف المفسرون في معنى كلمة (ويل) على أقوال أشهرها قولان:

---

(٣٦) انظر : إحياء علوم الدين (٢/ ٧٧).

الأول: أنه وادٍ في جهنم بعيدٌ قعرُه ، يسيل من صديد أهل النار عياذاً بالله . وهذا القول مشهور عن ابن مسعود –رضي الله عنه–[٣٧] ، وجاء مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يصح[٣٨].

الثاني : أنها كلمة زجرٍ وهلاك ، تقال لمن لا يُرجى فلاحُه. وهو قول عامة أهل اللغة[٣٩].

والذين فسروا الويل بأنه وادٍ في جهنم حاولوا تفسير سياق اللفظ ، لكن هذا المعنى لم يكن معروفا في كلام العرب ، وهذه اللفظة مستخدمة قبل الإسلام ، ولم يكونوا يقصدون بها أنها وادٍ في جهنم ، فالأقرب أنها كلمة للزجر والتهديد ، ولا يمنع أن يكون العذاب هو وادٍ في جهنم ، أو غيره من العذاب.

وقد وردت هذه الكلمة في السورة مرتين:في أول السورة ﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ﴾ [المطففين:١]، وعند الحديث عن بداية ذكر العذاب للمطففين ﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ﴾ [المطففين: ١٠] .ولا شك أن في هذه الكلمة وتكرارها من الردع والتخويف ما لا يخفى.

٢- تكرار كلمة (كلا) في طيّات السورة .

وقد وردت هذه الكلمة أربع مرات ، ومعناها عند عامة أهل التفسير واللغة أنها كلمةٌ للتنبيه والردع[٤٠].

والمعنى : ليس الأمر على ما أنتم عليه من التطفيف والغفلة عن الحساب والبعث ،فارتدعوا وانزجروا عن ضلالكم[٤١] .

(٣٧) انظر : الهداية إلى بلوغ النهاية ، مكي بن أبي طالب (٨١١٤/١٢) ، النكت والعيون ، الماوردي (٢٢٦/٦) ، زاد المسير(٨٢/١).

(٣٨) انظر : الفردوس بمأثور الخطاب ، الديلمي (٤/ ٤٠١) حديث رقم (٧١٦٤)، تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، المزّي (٣/ ٣٦١) حديث رقم (٤٠٦٢)، ضعيف سنن الترمذي ، الألباني (ص٣٩٥) حديث رقم (٦١٧).

(٣٩) انظر : معاني القرآن وإعرابه (٢٩٧/٥) ، البحر المحيط (١/ ٤٣٦).

(٤٠) انظر : معاني القرآن وإعرابه (٤/ ٢٥٤) ، تفسير ابن فورك (٣/ ٨١) ، التفسير البسيط ، الواحدي (١٤/ ٣١٥) ، زاد المسير (٤/ ٣٧٢) .

(٤١) انظر : مفاتيح الغيب ، الرازي (٣١/ ٨٦).

وتكرار هذه الكلمة عدة مرات في سورة قصيرة مُوحٍ بضخامة التهديد ، وحجم الوعيد ، وفي ذلك تنبيهٌ لمن تسوّل له نفسه ظلم الآخرين وبخس حقوقهم بأن الله له بالمرصاد.

٣- التذكير بإحصاء أعمال المطففين ، وأن كل ما فعلوه مدوَّنٌ عليهم في شرِّ كتاب .

ويظهر هذا من قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ۝٧ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ۝٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٩ ﴾ [المطففين: ٧-٩].

هذا الكتاب ذكر الله لنا مكانَه وصِفةً من صفاته ، وكلا الأمرين مخوِّفٌ ومرعب!

أما مكانُه : فهو في سجين ، قال الله : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴾ [المطففين: ٨] ، وتأمّل هذا الاستفهام والأسلوب الذي فيه من التفخيم والتعظيم ما يقع في القلب موقعاً بليغا!

وقوله تعالى:﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٩ ﴾[المطففين: ٩]، الصواب أنه ليس وصفا لـ(سجين) كما أشار لذلك عدد من المفسرين[٤٢] ، وإنما هو وصفٌ لكتاب الفجار – وسيأتي بيانه – . وعلى ذلك فجواب الاستفهام غير مذكور ، وهو أسلوبٌ بلاغيٌّ يوحي بتهويل أمر (سجين) وانه لا يدري أحدٌ بشناعته وقبحه[٤٣].

واختلف المفسرون في المراد بـ(سجين) على أقوال :

القول الأول : أنه مكانٌ في الأرض السابعة ، وهو قول ابن عباس وأكثر المفسرين[٤٤] ، وزاد بعضهم: في صخرةٍ عند مكان إبليس ، وغيرها من مرويات إسرائيلية لا تعتمد على أثرٍ صحيح .

القول الثاني : أن معنى (في سجين) أي : في سجنٍ وشدّة وضيق . وهو قول عكرمة[٤٥] ، ورجحه ابن كثير[٤٦].

---

(٤٢) انظر : المحرر الوجيز (٥/ ٤٥١) ، مفاتيح الغيب (٣١/ ٨٧) ، البحر المحيط (١٠/ ٤٢٧).

(٤٣) انظر : إرشاد العقل السليم ، أبو السعود (٩/ ١٢٦).

(٤٤) انظر : جامع البيان (٢٨٢/٢٤) ، تأويلات أهل السنة ، الماتريدي (٤٦٥/١٠) ، المحرر الوجيز (٤٥١/٥) .

(٤٥) انظر : جامع البيان (٢٨٢/٢٤) ، المحرر الوجيز (٤٥١/٥) ، مفاتيح الغيب (٣١/ ٨٧) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٥٨/١٩) .

(٤٦) انظر : تفسير ابن كثير (٣٤٩/٨) .

القول الثالث : أي في سفال وانحطاط ، أو في موضعٍ في الأسفل ، كما يقال : فلانٌ بلغ الحضيض. أي : أسفلَ ما يكون[٤٧].

والجمع بين هذه الأقوال متيسِّر ، فقد يكون المراد بسجِّين : السجن الضيّق ، ومكانه في أسفل الأرض السابعة ، وإذا كان كذلك فهو- قطعاً - مكانُ شدّة وكَرب.

وهذا الموطن هو الجدير بجمع كتب الفجار المطففين ، لأن تلك الكتب قد حوَت القبائح والشنائع ، فكان هذا المكان هو الأولى بها.

ولـمّا ضاقت نفوس أولئك الباخسين حقوقَ الناس عن العدل ، وإعطاء أهل الحق حقَّهم ضيّق الله عليهم فجعل أعمالهم في هذا المكان المخزي ، وأُلقيت كما تلقى الجيف المنتنة ، وهو المكان الذي فيه تجتمع أرواح الكفار والفجار كما في حديث البراء -رضي الله عنه- الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم ما يكون للكافر بعد نزع الملائكة لروحه فقال :" فيصعدون بها، فلا يمرّون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروحُ الخبيث؟ فيقولو ن: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له "، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف: ٤٠]

فيقول الله عز وجل: " اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى ، فتطرح روحه طرحاً "[٤٨].

وأما صفةُ كتاب الفجار فإنه كما قال الله (مرقوم) .

والمرقوم : هو المكتوب [٤٩]، أو المختوم عليه بختم فلا يزاد عليه ولا ينقص منه[٥٠].

---

(٤٧) انظر : الكشف والبيان (١٥٢/١٠) ، المحرر الوجيز (٤٥١/٥).

(٤٨) رواه أحمد في المسند (٣٠/ ٤٩٩) حديث رقم (١٨٥٣٤) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٣/ ٥٤) حديث رقم (١٢٠٥٩) . وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩٧) حديث رقم (٣٥٥٨).

(٤٩) انظر : جامع البيان (٢٤/ ٢٨٥) ، معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٩٨) ، الكشف والبيان (٢٩/ ٥٦).

(٥٠) انظر : تأويلات أهل السنة (١٠/ ٤٥٧) ، الكشف والبيان (٢٩/ ٥٦) ، النكت والعيون (٦/ ٢٢٨).

وفي وصف كتاب المطففين الفجار بهذا الوصف تخويف وتحذير ، فإن ذلك يعني أن كل عمل وقول وحركة وسكَنة تصدر من الإنسان فإنها مرصودة مدوَّنة من قبل الملائكة الكرام ، كما قال الله : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار: ١٠-١٢] .

والمطفِّفون يزيدون وينقصون، أما هذا الكتاب فلا تطفيف فيه ، بل هو حق ليس فيه إلا ما جناه المرء واكتسبته يداه﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٢٩ ﴾ [الجاثية: ٢٩] .

فأين ظلّام البشر من هذه الزواجر والمواعظ ؟!

أين من يخبط في الحرمات ، ويعتدي على المساكين ، ويبخسهم حقوقهم ؟!

فخَفِ الْقصاصَ غَداً إذا وُفِّيتَ ما كسبت يداك اليوم بالقسطاسِ

فِي موقفٍ ما فيه إلَّا شاخصٌ أَو مُهطِعٌ أَو مُقنِعٌ للراسِ

أعضاؤهم فِيهِ الشُّهُودُ وسجنُهم نارٌ وحاكمُهم شديدُ الباسِ

إنْ تمطلِ اليوم الحقوقَ مع الغِنى فغداً تؤديها مَعَ الإفلاسِ![٥١]

٤- احتجاب الله عنهم.

وذلك في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ﴾ [المطففين: ١٥].

وحجبُهم عن ربهم أن يُحرموا من رؤيته تعالى ، فلا يرونه كما يراه المؤمنون ، وهذه عقوبة جعلها الله لهم ، ويالها من عقوبة! وكفى واللهِ بها زجراً لأولئك المطففين لو كانوا يعقلون!

ورؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة هو مذهب أهل السنة والجماعة،وهو الذي تظافرت عليه الأدلة الصحيحة الصريحة،ومن ذلك قوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

قال جرير بن عبد الله البجلي – رضي الله عنه – : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذْ نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: "أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا، لا تضامُون – أو لا تضاهون – في رؤيته ، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، فافعلوا"[٥٢].

---

(٥١) الأبيات من الكامل ، ولم أجد قائلها ، وانظرها في : الكبائر ، الذهبي (ص١١٠) .

(٥٢) رواه البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة الفجر ، (١/ ١١٩) حديث رقم (٥٧٣) ، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر، (١/ ٤٣٩) حديث رقم (٢١١) عن جرير بن عبدالله – رضي الله عنه – .

ورؤية الله هي أعظم النعيم الذي يناله أهل الجنة ، كما أن أشدَّ العذاب وأقساه على أهل النار أن يُحرموا من رؤية وجهه الكريم .

قال الحسن البصري: " لو علم الزاهدون والعابدون أنهم لا يرون ربهم في المعاد، لزهقت أنفسهم في الدنيا!"(٥٣).

إن حَجَبَ الفجار عن رؤية ربهم عذابٌ لأرواحهم ، وأما الأجساد فعذابها بنار السموم ، ولذلك أتبع الله تعالى حرمانهم من رؤيته بقوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ﴾ [المطففين: ١٦]ليجتمع لهم مع ذلك عذابُ الأجساد! نسأل الله معافاته ورحمته.

والذي عليه جمهور المفسرين أن الحجب الوارد في الآية هو حجبٌ عن رؤية الله(٥٤) .

ومن المفسرين من يراه حَجباً عن رحمة الله وكرامته(٥٥).

ومنهم من يراه حَجباً عن عبادة ربهم ، وذلك أنهم حين عبدوا غير اللَّه صارت عبادتهم تلك حجاباً عن عبادته تعالى(٥٦).

ولا يمنع أن يكون كلُّ ذلك صحيحاً ، وهوما رجحه الطبري(٥٧) . أما أن يُقتصر على القول الثاني أو الثالث قصداً لأجل الفرار من إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة – كما هو صنيع الزمخشري لتقرير مذهبه الاعتزالي– فهيهات!(٥٨)

٥– اصطلاؤهم بالنار.

وذلك في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ﴾ [المطففين: ١٦] .

---

(٥٣) انظر :التفسير الوسيط ، الواحدي (٤/ ٤٤٦).

(٥٤) انظر : جامع البيان (٢٨٩/٢٤) ، الكشف والبيان (٢٩/ ٦٣) ، الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٧٨٨٥) ، معالم التنزيل (٨/ ٣٦٦) ، زاد المسير (٢/ ٦٢).

(٥٥) انظر : جامع البيان (٢٨٩/٢٤) ، تأويلات أهل السنة (٤٦٠/١٠) ، التفسير البسيط (٣٢٨/٢٣) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٦١/١٩) .

(٥٦) انظر : تأويلات أهل السنة (١٠/ ٤٦٠)

(٥٧) انظر : جامع البيان (٢٩٠/٢٤).

(٥٨) انظر قول الزمخشري في : الكشاف (٤/ ٧٢٢).

والمعنى : أن حجبهم عن ربهم وإن كان عقابا أليما ، وجزاء زاجرا ، إلا أن وراءه ناراً تلظى ، يصلون حرَّها ، ويلفحُهم لهيبُها ، تشوي تلك الأجساد المترعة بأكل الحرام والتطفيف في الحقوق. كلما نضجت تلك الجلود بدّلهم الله جلودا غيرها ليذوقوا العذاب.

فأين لذةُ ما حصّلوه ؟! وأين فرحةُ ما نالوه ؟! لقد ذهب كلُّ ذلك بغمسةٍ في نار جهنم ، أعاذنا الله منها بمنّه ورحمته .

إن التخويف بالنار من أعظم الزواجر لترك الحرام ، ولذا يكثر ذكر ذلك في القرآن ، تحذيراً وتخويفاً ، لعل غافلاً يتعبر ، وسادرا يدّكر . ومن لم يعتبر بالنار ويتعظ فأنى له الفلاح ؟!

٦- تقريعهم وإهانتهم والسخرية منهم على رؤوس الأشهاد:

وهذا يضاف لما سبق من العذاب ، فإن تبكيت المرء وفضحَه والانتقاصَ منه أمام الناس نوع من العذاب يصعب احتماله.

وإذا كان هذا في الدنيا ، والذي وجّه الإهانةَ بشرٌ قد يكون صادقاً ، وقد يكون كاذبا ، ومَن سيشهد ذلك عددٌ محدود من الناس ، فكيف إذا كان ذلك صادراً من الله جل في علاه ، ومعه الملائكة الكرام ، والمشهد يراه الخلقُ أجمعون ، إنسُهم وجنُّهم ، بَرُّهم وفاجرهم ؟! ﴿ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٦ ﴾ [المجادلة: ٦] .

والتبكيت والإهانة لأولئك المطففين وردت في هذه السورة في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ١٧ ﴾ [المطففين: ١٧]. فمع حِرمانهم من رؤية ربهم ، ثم تصليتهم بالنار ، يقال لهم فوق ذلك تقريعا وإذلالا : هذا الذي كنتم به تكذبون، فهل نفعكم تكذيبكم ؟! وهل انتصر لكم مَن أغواكم وشكَّكم في يوم البعث؟!

والتكذيب باليوم الآخر لا يُشترط أن يكون بلسان المقال ، وإنما قد يكون بلسان الحال . فذلك المطفّف الذي غشّ وظلم وبخس غيرَه حقَّه ، وربما اغترّ بقوته ، أو ذكائه ، أو سلاطة لسانه ، هو في حقيقة الأمر مكذّبٌ ليوم البعث ، وإلا لما فعل ما فعل ، وعاقرَ ما عاقر من الحرام.

ومن التبكيت الذي يلقاه أولئك المطففون سخريةُ المؤمنين منهم ، وضحكُ أهل الجنة عليهم -وسيأتي بيانه- ، وهو نوعٌ من الشماتة بهم ، جزاءَ ما كانوا يسخرون ويهزؤون بالصالحين في الدنيا.

وكلُّ من بخس الناس حقوقهم ، وظلمهم واعتدى عليهم ، لأنه بزعمه أمِنَ العقاب ، وغرَّته قوته ، ودهاؤه ، وفصاحة لسانه ، ومكرُه الكُبّار ، فطفّفَ في ميزان الحق ، وبغى واعتدى ، يقال له: تذكّر تلك العاقبة ، وتفكر في شؤم عملك ، فإن في ذلك أعظم رادع لك إن كنت تعقل ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ٣٧ ﴾ [ق: ٣٧] .

المبحث الثاني : التذكير باليوم الآخر ، وبيان ما يكون فيه من أهوال.

ويتضح ذلك من خلال ما يلي :

1- الاستفهام في قوله تعالى:﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ ﴾ [المطففين: ٤] .

والاستفهام هنا استفهامُ إنكارٍ وتوبيخ وتعجب من حال أولئك المطففين ؛ إذْ كيف يتجاسر هؤلاء على هذا الظلم وتلك القبائح ووراءهم يومٌ يبعثون فيه ؟!

إن هذا السؤال يتضمّن تذكيراً بيوم البعث ، ذاك اليوم الذي يُبعث الناس فيه من قبورهم ليفتحوا أعينهم على عالمٍ ما هو بالعالم الذي يعرفون!

إنه اليوم الذي تذهل فيه كلُّ مرضعة عمّا أرضعت ، وتضع كلّ ذات حملٍ حملها ، وترى الناس سكارى ، وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد!

أجل ؛ إنه أمرٌ حتمي ، ووعدٌ لا يُخلَف ، فكيف لأولئك الباخسين للحقوق والمطففين في الموازين أن يغفلوا عنه ، وهو اليوم الذي سيُبعثون فيه ؛ فيجازيهم الله على ما عملوا ؟!

ألا يظنّ أولئك أن في ذلك المقام سيقتص المظلومُ من ظالمه ، والمقهورُ من قاهرِه ، والمعتدَى على ماله أو عرضه مِن آكِلِ مالِه ومُنتهكِ عِرضِه؟!

وهل الظنّ المذكور في الآية هو على ظاهره أم يُحمل على معنى اليقين؟ قولان لأهل التفسير:

القول الأول : أنه بمعنى العلم واليقين ، وهذا الذي عليه جمهور المفسرين[٥٩].

القول الثاني : أن يحمل اللفظ على ظاهره وهو الظن الحقيقي بمعناها المعروف[٦٠] .

وكلا المعنيين سائغ .

فإن كان بمعنى اليقين فالأمر ظاهر ؛ إذْ كيف يُتصوّر أن يقدِم هؤلاء المطففون على أفعالهم المشينة ، فيظلموا الناس ، ويبخسوا الحقوق ، وهم يوقنون أنهم سيُبعثون ويحاسبون عن ظلمهم ، وسيلقون جزاءهم ، ولن يقدروا على الفكاك من قبضة الله؟!

وإن كان الظن بمعناه المعروف الذي هو دون رتبة اليقين ، فينبغي أن يكون مجرّد الظن كافياً لأن يعيدوا النظر فيما هم فيه ، ويقلعوا عن قبيح ما يصنعون ، فإن ما ظنّوه قد يصير حقّاً لا ظنّاً ، والعاقل من يحسب لمستقبل أمره ، ويحتاط لغده ، فكيف إذا كان الغدُ القادم هو يوم القيامة ، والذي يثبتُ وقوعَه العقلُ والشرع والفطرة ؟![٦١]

وإذا علم ذلك فما بقي إلا أن نقول : إن الذين يمنع هؤلاء عن تذكر ذلك اليوم والتفكّر فيه ، والإقلاع عن منكراتهم هو الجشعُ الطاغي في نفوسهم ، والغفلةُ المستحكمة على قلوبهم ، والكبرُ المتغلغل في ذرّات أجسادهم ، نعوذ بالله من الخذلان.

٢- وصف ذلك اليوم بأنه يومٌ عظيم.

قال الله تعالى:﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٤-٦].

وهل يومٌ أعظم من ذلك اليوم ؟! ولو لم يكن من عظمته إلا أن الله وصفه بأنه عظيم لكفى! لأنه تعالى أعلم من خلقه بما يكون فيه من أهوالٍ تَشيب لها رؤوسُ الوِلدان!

وهو عظيم في طول مدَّته ، وعظيم بما يجري فيه من الحوادث ، وعظيم بما يظهر فيه من قدرة الله في البعث والحشر والحساب .

(٥٩) انظر : تأويلات أهل السنة (٤٥٤/١٠) ، التفسير البسيط (٣١٢/٢٣) ، المحرر الوجيز (٤٥٠/٥) .
(٦٠) انظر : تأويلات أهل السنة (٤٥٤/١٠) ، الكشاف (٧٢٠/٤) ، مفاتيح الغيب (٤٩١/٣) .
(٦١) انظر : التفسير القرآني للقرآن ، الخطيب (١٦/ ١٤٩٠) ، التفسير المنير ،الزحيلي (٣٠/ ١١٢) .

ويتضح من سياق الآيات أن عظمة ذلك اليوم تتجلى في أمرين :

الأول : قيام الناس لله تعالى .

وهو مشهد مرعب ، ومقامٌ أقضَّ مضاجع الصالحين ، فأسبل دموعهم ، وأسهرهم في حنادس الليالي ركَّعاً لله وسجّدا.

قرأ ابنُ عمر – رضي الله عنهما – ﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ﴾[المطففين: ١] فلما بلغ: ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ [المطففين: ٦] بكى، حتى خرَّ ، وامتنع من قراءة ما بعدها"[٦٢].

وعن محمد بن سوار قال : حَجَجتُ سنةً من السنين فرأيتُ أيوب السّختياني قد ابتدأ بأول القرآن مصليا، وإذا بناحية منه رجلٌ من أهل البصرة مستقبل الكعبة قد ابتدأ بسورة : ﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۝١ ﴾ [المطففين: ١] وهو يردد قوله تعالى: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ ﴾ [المطففين: ٤] فبلغ أيوبُ السختياني إلى ثلثي القرآن وذلك الرجل يردد هذه الآية! فلما كان عند السحر بلغ أيوب سورة الفيل ، وانتهى الرجل إلى قوله:﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦ ﴾ [المطففين: ٦] وغشي عليه، فتقدمنا إلى الرجل فوجدناه ميتا![٦٣]

وقيام الناس في أرض المحشر مقام طويل! قال صلى الله عليه وسلم:" يقوم الناس لرب العالمين مقدار نصف يومٍ من خمسين ألف سنة، فيهون ذلك اليوم على المؤمن كتدلي الشمس للغروب إلى أن تغرب"[٦٤].

---

(٦٢) انظر : الزهد ، وكيع بن الجرح (ص٢٥٣) ، الزهد ، هناد بن السري (١/ ٢٠١) ، حلية الأولياء (١/ ٣٠٥).

(٦٣) انظر : تفسير التستري (ص٢٠) .

(٦٤) رواه أبو يعلى في مسنده (١٠/ ٤١٥) حديث رقم (٦٠٢٥) ، وابن حبان في صحيحه (١٦/ ٣٢٨) حديث رقم (٧٣٣٣) عن أبي هريرة – رضي الله عنه – ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٤١٧) حديث رقم (٣٥٨٩) ، وشعيب الأرناؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان (١٦/ ٣٢٨).

وعن سالمٍ عن ابن عمر- رضي الله عنهما - في قوله تعالى:﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٦] قال: "يقومون حين يبلغ العرقُ أنصافَ آذانهم"[٦٥].

وعن عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه-في قوله:﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٦] قال: " يمكثون أربعين عاماً رافعي رءوسهم إلى السماء ، لا يكلمهم أحد ، قد ألجم العرق كلَّ برٍّ وفاجر!"[٦٦].

الثاني : وصفه تعالى لنفسه بـ(ربّ العالمين) .

وفي هذا الوصف دلالتان[٦٧] :

أولاهما : التذكير بأنه تعالى لن ينجو من قبضته ظالمٌ مهما بلغت قوّته ، ولن يُترك حقُّ مظلوم ولو بلغ ضعفُه منتهاه ، بل وحتى لو كان ذلك المظلوم عاصيا فإن الله ينتصف له بقدر مظلمته ، لأنه (ربُّ العالمين) جميعا قويِّهم وضعيفِهم ، بَرِّهم وفاجرِهم .

ثانيهما : الإشارة إلى عِظم ذنب التطفيف ، وشدّة عقوبة المطففين .

وليس ذلك نظراً إلى التطفيف من حيث هو ؛ وإنما لأن ميزان العدل هو الذي قامت به السماوات والأرض.

والملاحظ في هذه الآية أن الله ذكر القيام له لكنه لم يذكر ما يكون من مطالبة المظلومين بالقصاص من أولئك المطففين ، ولعلّ ذلك -والله أعلم- لأن غالب ما يعمله المطففون يكون شيئا خفيّاً لا يدري به الطرف المظلوم ، ولهذا فإن المُطالب لهم والمخاصم هو الله رب العالمين! وياله من مقام مهول!

يقول الله تعالى في الحديث القدسي :" ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعط أجره!"[٦٨].

---

(٦٥) انظر : تفسير عبد الرزاق (٣/ ٤٠٣).

(٦٦) انظر : جامع البيان (٢٤/ ٢٨١) ، الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨١١٩).

(٦٧) انظر : مفاتيح الغيب (٣١/ ٨٥) ، روح المعاني (١٥/ ٢٧٧) ، فتح البيان في مقاصد القرآن ، صديق حسن خان (١٥/ ١٢٦) ، محاسن التأويل (٩/ ٤٢٩).

المبحث الثالث : تبشيع صورة المطففين ، وبيان سوء صفاتهم .

وذلك من خلال ذكر عددٍ من أوصافهم القبيحة لتنفر النفوس من هذه المعصية ، وتحذر من الوقوع في شِراكها ، ومن تلك الصفات :

١- ذِكر ما يدلّ على ظلم المطفّفين ، وحقارة فعلهم ، وانعدام أمانتهم ، وذلك حين يكيل أولئك المطففون بمكيالين ، فإن كان لهم الحقُّ استوفوه ، وربما أخذوا ما ليس لهم ، وإن كان عليهم بَخَسوا غيرهم ما هو مستحقٌّ له ، وهضمَوه حقوقَه!

يتضح هذا في قوله تعالى :﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطففين: ٢-٣] . وتأمل قوله تعالى: (إذا اكتالوا على الناس) ، ولم يقل : (من الناس) ، وهذا فيه إشارة إلى معنى الاستعلاء عند هؤلاء المطفِّفين ، وقد يكون مع التطفيف كبرٌ وتسلُّط فيجتمع القُبحان : الظلم والاستكبار!

وشيء آخر ذكره الطاهر ابن عاشور في سبب التعدية بالحرف (على) بدل (من) حيث قال : " وإنما عُدِّي في الآية بحرف (على) لتضمين (اكتالوا) معنى التحامل، أي إلقاء المشقة على الغير وظلمه، ذلك أن شأنِ التاجرِ وخلقَه أن يتطلَّب توفير الربح ، وأنه مظنة السعة ووجود المال بيده ، فهو يستعمل حاجةَ مَن يأتيه بالسلعة!"[٦٩].

والظالم المستكبر بعيدٌ عن رحمة الله ، مُجافىً عن فضله ، ولهذا قال الله : (ألا يظن أولئك) بالإشارة إليهم باسم الإشارة الدال على البعد ، ولم يُشِر إليهم بـ(هؤلاء) الذي يدل على القرب.

وفي الإشارة إلى المطففين بـ(أولئك) معنىً آخر ، وهو بُعدُ درجتِهم في الشرِّ والفساد ، وبُعدُهم عن تذكّر الآخرة ويوم الحساب[٧٠].

٢- وصفُهم بالفجار:

---

(٦٨) رواه البخاري كتاب البيوع ، باب باب إثم من باع حراً ، (٨٢/٣) حديث رقم (٢٢٢٧) عن أبي هريرة – رضي الله عنه–.

(٦٩) التحرير والتنوير (٣٠/ ١٩٠-١٩١) .

(٧٠) انظر : فتح البيان في مقاصد القرآن (١٥/ ١٢٥) .

وذلك في قوله تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ۝٧ ﴾ [المطففين: ٧] . وقد جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن المطففين فدلَّ على أنهم متصفون بها[71].

والفجار : جمع فاجر ، والفاجر في كلام العرب: هو المائل عن الخير ، المنتهك للحرمات ، وهو مأخوذ من الفجور، وهو شق الشيء شقاً واسعاً، وسمي الفجار بذلك مبالغة في هتكهم لمحارم الله، وشقهم لأستار الشريعة، وتجاوز حدودها.[٧٢]

وكلُّ هذه الأوصاف منطبقةٌ على المطففين ، فهم بتطفيفهم متجاوزون لحدود الله ، منتهكون لشريعته ، حائدون عن طريق العدل ، متوسعون في المحرمات.

٣- وصفهم بالمكذبين :

وذلك في قوله تعالى:﴿ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝١١ ﴾[المطففين:١٠-١١].

والكذب من أقبح الصفات وأرذلها ، وهو خلقٌ تأباه النفوس السويّة ، وتنفر منه الطباع القويمة. ولهذا كان العربي يأنف من هذا الخلق حتى في الجاهلية!

قال أبو سفيان -رضي الله عنه- قبل إسلامه في قصة دخوله على هرقل: "فواللهِ لولا الحياءُ من أن يأثروا عليَّ كذباً لكذبت"[٧٣].

ووصْفُ المرء بالكذب مسبّةٌ ونقيصة ، فكيف إذا كان هذا على رؤوس الأشهاد ، يسمعه كل الخلائق ؟! ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٨ ﴾ [هود: ١٨] .

وإذا كان مع التعيير بالكذب تهديدٌ بالويل فما ظنك بحال أولئك المطففين ؟! لا شك أن في ذلك بليغَ الألم وشديدَ الحسرة.

---

(٧١) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل ، ابن جزي (٢/ ٤٦١) ، روح البيان (١٠/ ٣٦٦) ، الخلوتي ، روح المعاني(١٥/ ٢٧٨).

(٧٢) انظر : الزاهر في معاني كلمات الناس ، ابن الأنباري (١/ ١٤٢) ، لسان العرب ، ابن منظور (٥/ ٤٦) ، التفسير الوسيط ، سيد طنطاوي(١٥/ ٣٢١) .

(٧٣) رواه البخاري كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي ، (١/ ٨) حديث رقم (٧) عن عبدالله بن عباس – رضي الله عنهما –.

والله تعالى حينما وصف المطففين بالكاذبين أبان سبب هذا الوصف بأنهم (يكذِّبون بيوم الدين) ، ويومُ الدين هو اليوم الذي يُدان فيه كلُّ إنسانٍ بما عمل . وفِعلُ هؤلاء المطفِّفين حين طففوا في الكيل وظلموا الناس فِعلُ من لا يؤمن بيوم الدين ، وإلا لو كانوا يؤمنون به حقّاً لما اعتدوا وظلموا ، لأن كل امرئٍ مأخوذٌ عليه في سمعه وبصره وسائر جوارحه. ﴿ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦ ﴾ [الإسراء: ٣٦] .

٤- وصفهم بالمعتدين الآثمين:

وذلك في قوله تعالى :﴿ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢ ﴾[المطففين: ١٢] .
والمعتدي: هو المتجاوز في الظلم . والأثيم : هو كثير الآثام بما يرتكبه من معاصٍ وموبقات(٧٤).

وكلّ من تعدّى حدود الله فهو آثم ، ومتى كثُرَ تجاوزُه وتعدّيه فهو مستحق لأن يوصف بالأثيم ، وهي صفة مبالغة ، وتعني كثير الذنوب والآثام ، ولهذا لم يصفه بـ(الآثم) وإنما وصفه بـ(الأثيم) ليبيِّن أن الإثم قد أصبح جزءًا من شخصيَّته، وطبعًا لا يستطيع الفكاك منه!
والمطفّف مستحقٌّ لأن يكون كذلك ، فإنه بظلمه لغيره وبخسه له قد تعدّى وتجاوز حدود الله ، التي تأمر بالعدل وتنهى عن الظلم والحيف ، ويكون بذلك موغلاً في الآثام ، غارقا في مستنقعاتها الآسنة.

والمعتدي الأثيم -كما قال القشيري - :"ممنوع الحياء ، مشتَّتٌ في أودية الحرمان"(٧٥).

فهو لم يرضَ بما أَخذ من حقٍّ له ، بل أخذه وزيادة ، وجارَ على غيره فانتقص من حقه ، وبخسه ما هو له ، ومن يفعل هذا فهو صفيق الوجه ، عديم الحياء!

ويظن ذلك المطفِّف أنه حين يعتدي على حقوق غيره قد ربح ! وما علم المسكين أنه وإن ظفر بمتاع دنيوي عمّا قليل سيزول إلا أنه قد حُرم طمأنينة القلب ، ورضا الضمير ، وذلك لعَمرُ اللهِ هو عين الحرمان!

٥- وصفهم بالغافلين المحجوبِ على قلوبهم .

---

(٧٤) انظر : معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٢٠٥) ، تأويلات أهل السنة (١٠/ ٤٥٨) ، مفاتيح الغيب (٣١/ ٨٧) .
(٧٥) لطائف الإشارات (٣/ ٦١٨).

وسبب ذلك الوصف علوُّ الرانِ على تلك القلوب ، وهو ما ذكره الله تعالى في هذه الآية بقوله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[المطففين: ١٤].

والرَّان: غلاف يتكون على قلب الإنسان يمنعه من قبول الخير . ويُسمى: الرَّانُ، أو الرَّين[٧٦] .

وسبب هذا الرانِ هو تتابع الذنوب على القلب ، فإذا تكاثرت على قلب ابن آدم صار عليه مثل الغشاوة التي تمنع نفوذ الخير إلى سويدائه ، فترى صاحبه لا تنفع فيه موعظة ، ولا تؤثر فيه نصيحة . نعوذ بالله من الخذلان .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتةٌ سوداءُ في قلبه ، فإن تاب ونزع واستغفر، صُقِل قلبُه، وإن زاد زادت، حتى يعلو قلبَه ذاك الرانُ الذي ذكر الله عز وجل في القرآن ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[المطففين: ١٤].

وقال مجاهد: " القلب مثل الكفّ – ورفع كَّفه – ، فإذا أذنب انقبض – وضمَّ إصبعَه– ، فإذا أذنب ذنباً آخر انقبض – وضمّ أخرى حتى ضم أصابعه كلَّها – حتى يُطبع على قلبه ، وكانوا يرون أن ذلك هو الرّين"، ثم قرأ هذه الآية ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾[المطففين: ١٤]"[٧٧].

والران درجةٌ من درجات الغطاء على القلب ، وأشدُّ منه الطبع ، كما في قوله تعالى :﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [النحل: ١٠٨] ، وأشدُّ منهما القُفل ، وهي الدرجة التي عناها الله بقوله :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾[محمد: ٢٤] [٧٨] . ومتى ما وصل قلبُ الإنسان إلى هذه الحال البئيسة فلا يكاد يفلح أبداً!

إن تلك القلوب لها رحلةٌ طويلة مع الهوى والانحراف ، قد تغلغلت في أرجائها ظلماتُ المعصية ، فاسودَّ القلب ، حتى صار كالكُوزِ مُجَخِّيًا ، لا يعرف معروفاً ، ولا ينكر منكراً إلا ما أُشرِب من هواه ، كما في حديث حذيفة –رضي الله عنه–[٧٩].

---

(٧٦) انظر في تعريف الران إلى: النكت والعيون (٦/ ٢٢٨) ، مفاتيح الغيب (٣١/ ٨٨) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٠/١٩).

(٧٧) انظر : جامع البيان (١/ ٢٥٩) ، الكشف والبيان (٢٩/ ٦٠) .

(٧٨) انظر : التفسير البسيط (٢٣/ ٣٢٤) ، مفاتيح الغيب (٣١/ ٨٨) .

(٧٩) ونصُّه : قال حذيفة – رضي الله عنه – " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها، نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها، نكت فيه نكتة

وهكذا هي قلوب المحترفين للتطفيف والظلم ، قلوبٌ علاها الرانُ فأعماها عن الحق ، وزيّن لها الباطلَ ، فطفق أصحابُها يخبطون في الحرام ، ويحيفون في الأحكام ، ويأكلون السّحت ، ولا يبالون بما صنعوا ، فهم في غيِّهم سادرون ، وعن جادّة الهدى مُتنكّبون.

إن ظلم الناس سببٌ لطمس القلب وعلوِّ الرانِ عليه! ولهذا نجد الظلمةَ وأعوانَهم من أبعد الناس عن التذكر والاتّعاظ بما يرون ويسمعون!

ولربما أصابت ذلك الظالمَ دعوةٌ من مظلوم رفع يديه إلى السماء في ظلمة الليل ، وقد غفل الظالم عنها ، وما الله بغافلٍ عنها ، أو نسيها ، ولكن الله لم ينسَها﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾[مريم: ٦٤]، فارتفعت فوق الغمام فقال الله : وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين!

وأعظم عقوبة يصاب بها إنسانٌ قسوةُ القلب ، وانسداد قنواته أن ينفذ منها الخير ، وعدم خشوعه لذكر الله وما نزل من الحق!

قال مالك بن دينار: "ما ضُرب عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة قلب"(٨٠).

وههنا لفتةٌ أشار إليها بعض العلماء حول قوله تعالى : ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[المطففين: ١٤-١٥] ، وهي أن الله عطف آية احتجاب الله عنهم على التي سبقتها لبيان أن الران الذي حجبَ قلوبَ الفجار والمطففين عن الحق والإيمان جوزي أصحابُه باحتجابِ الله عنهم يوم القيامة ، فكان الجزاء من جنس العمل(٨١).

وثمة لفتةٌ أخرى في ذكر الفعل (يكسبون) في قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] بصيغة المضارع ، ففيه دلالة على تكرار المطففين للكسْب الحرام ، واستمرارهم في الباطل(٨٢).

٦- وصفُهم بالمجرمين.

والمجرم هو من يرتكب جنايةً في حق نفسه ، أو في حقِّ غيره.

بيضاء ، حتى تصير على قلبين: على أبيضَ مثل الصفا ، فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مُرْبَادًّا كالكُوزِ، مُجَخِّيًا لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكراً ، إلا ما أُشرب من هواه" .

والحديث رواه مسلم كتاب الإيمان ، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا ، (١/ ١٢٨) حديث رقم (٢٣١) .

(٨٠) انظر : الكشف والبيان (٢٣/ ٤١) ، معالم التنزيل (٧/ ١١٥).

(٨١) انظر : الداء والدواء ، ابن القيم (ص١١٩) ، التفسير القرآني للقرآن (١٦/ ١٤٩٣).

(٨٢) انظر : التحرير والتنوير(٣٠/ ٢٠٠).

والجناية على النفس وإن كانت جرما إلا أن بشاعتها أقلّ من بشاعة الجناية على الآخرين ، وهذا ما فعله المطفِّفون فإنهم جَنَوا على غيرهم بأخذ حقوقهم المشروعة ، ولم يكتفوا بذلك ، بل أضافوا إلى هذه السيئة سيئة أخرى وهي السخرية من المؤمنين ، والاستهزاء بهم! وهذا الذي ذكره الله تعالى في هذه السورة الكريمة بقوله :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ ﴾[المطففين:٢٩-٣٢] .

وسخرية هؤلاء المجرمين المطففين – كما هو ظاهرُ سياق الآيات– تتمثّل في مجموعة من الأوصاف:

الأول : أنهم يضحكون من المؤمنين :

وما ضحكهم هذا إلا نكاية بالمؤمنين ؛ لأنهم يعلمون أن السخرية إذا صاحَبَها ضَحِكٌ على المسخور منه كان ذلك أشدَّ إيلاما عليه مما لو كانت بغير ضحك.

والسخرية ممارسةٌ قبيحة ، وحصارٌ إعلامي وقح ، يمتهنه أهلُ الباطل في كل زمانٍ ومكان ، ليصدّوا الناس عن دين الحق ، والتاريخ حافل بأمثال هؤلاء المجرمين! قال الله تعالى:﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٦ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَضۡحَكُونَ ٤٧ ﴾[الزخرف: ٤٦-٤٧].

والضحكُ الساخرُ من الآخرين ليس من أخلاق أهل المروءات ، بل هو وصفٌ لازمٌ لفاسدي الأخلاق وناقصي الأدب. ولهذا نهى الله المؤمنين عن التخلق بهذا الخلق المرذول فقال:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا ١١ ﴾[الحجرات: ١١] .

ولماذا يضحك هؤلاءُ المجرمون من المؤمنين؟ قال الله في بيان ذلك :﴿ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ ﴾[المطففين: ٣٢] . فهم يضحكون لكون المؤمنين – في زعمهم– على ضلالة!

ولو افترضنا جدلاً أنهم على ضلالة – حاشاهم– فأين مبرِّر الضحك؟! أناسٌ انتهجوا نهجاً يرونه صحيحاً ، واعتقدوا اعتقاداً يرونه حقّاً ، فما الداعي للسخرية منهم والضحك عليهم ؟! كيف وهم أهلُ الحق الصُّراح ، وأولئك هم أهلُ الباطل الذي يقرُّون في أنفسهم أنهم عليه ، وما منعهم من الإقرار بذلك إلا الكبر والغرور!﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ ١٤ ﴾[النمل: ١٤] .

ويا عجبا حين يكون صاحبُ الضلالة الغارقُ في أوحالها هوَ من يرمي غيرَه بها ، ويعيّر أهلَ الحق بما هم عليه من الحق!

إذا محاسنيَ اللاتي أُدِلُّ بها كانت ذُنوبي فقل لي كيف أعتذرُ؟![٨٣]

ويزداد الفعلُ قبحاً ، والجُرم فُحشاً ، حين تكون السخرية من هؤلاء المجرمين للمؤمنين على أمرٍ ليس لهم فيه يدٌ ، كالسخرية من أشكالهم أو ألوانهم أو أنسابهم ، أو بسبب فقرهم وفاقتهم! وهذا هو منتهى الخسة والوضاعة.

إن هذا التصرّف الأرعن لا يصدر إلا من إنسانٍ سيئِ الخلق ، خفيفِ العقل ، فاسدِ المزاج ، معتلِّ الشخصية.

جاء في سبب نزول هذه الآيات أن أبا جهل والوليدَ بنَ المغيرة والعاصي بنَ وائل وأصحابَهم من مُترفي مكّةَ كانُوا يضحكون ويستهزئون من عمّار وخبّاب وصهيب وبلال وأصحابهم من فقراء المؤمنين[٨٤].

وقيل : نزلت في علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ، وذلك أنه جاء في نفرٍ من المسلمين إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ، ثم رجعوا إلى أصحابهم فقالوا: رأينا اليوم الأصلعَ ، فضحكنا منه! فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآيات[٨٥].

الثاني : أنهم يتغامزون.

والغمز قد يكون إشارةً بالعين أو بالحاجب أو نحوهما ، والقصد منه انتقاص المؤمنين سواء بتعييرهم لأجل إسلامهم ، أو لأي سبب من الأسباب التسخيرية التي ليس لهم فيها اختيار[٨٦].

وفي قوله تعالى (يتغامزون) دلالتان :

الدلالة الأولى : كونه جاء بصيغة الفعل المضارع – والفعل المضارع يدلّ على الاستمرار– فهو دليل على استمرارهم في هذا الفعل المشين ، فلم يكن ذلك الاستهزاء والضحك شيئا طارئاً ؛ بل هو شيء لا يفارقهم ، وهذا يدل على مستوى الإجرام الذي يمارسه هؤلاء الظلمة.

---

(٨٣) البيت من البسيط ، وهو للبحتري ، وانظره في ديوانه (٩٥٤/٢) ، جمهرة الأمثال ، أبو هلال العسكري (١/ ٤٧٥) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، النويري (٣/ ٩٨) .

(٨٤) انظر : الكشف والبيان (١٠/ ١٥٧) ،التفسير البسيط (٢٣/ ٣٤٦) ، معالم التنزيل (٥/ ٤٣١) ، مفاتيح الغيب (٣١/ ٩٥).

(٨٥) انظر : تفسير مقاتل بن سليمان (٤/ ٦٢٥) ، الكشف والبيان (١٠/ ١٥٧) .

(٨٦) انظر : مفاتيح الغيب (٣١/ ٩٤) ، فتح القدير (٥/ ٤٨٩).

الدلالة الثانية : أنه جاء بصيغة الجمع ، فليس هذا التصرّف مفرداً ونشازاً بين هؤلاء ، بل هو أمرٌ تواطأوا عليه مجتمعين ، وتمالأوا على نشره والمجاهرة به ، بل والتنافس عليه!

الثالث: أنهم ينقلبون إلى أهلهم فكهين.

والانقلاب: معناه الرجوع إلى شيء اعتاد الإنسان أن يذهب إليه.

ومعنى (فكهين) يحتمل أموراً :

١- إما أنهم متنعِّمون معجبون بما هم عليه من الكفر والضلالة(٨٧).

٢- أو أنهم فرِحون آمِنون من العقوبة(٨٨).

٣- أو أنهم متلذذون بالسخرية من المؤمنين (٨٩) ، وهو أحسن معانيها.

وكلُّها معانٍ محتملة ، وما أقبحها من صفات!

والمجرمون المطفِّفون عادةً مُنعَّمون بما يجنونه من مكاسب -زعموا- ، معجبون بعملهم ، لأنهم يرون أنهم خَدعوا غيرَهم وبخسوه حقّه بما عندهم من الحيل والمكر ، وهم كذلك آمنون من عقوبة الله ومكره بهم ، متلذِّذون بالسخرية من المؤمنين والمستضعفين. فأيُّ انحطاطٍ خُلقي بعد هذا ؟!

وتأمل قوله تعالى :(إذا انقلبوا إلى أهلهم) ، ولم يقل : بيوتهم ، وذلك يَشي بأن القوم يُشرِكون أهلَهم في السخرية من عباد الله الصالحين ، فهو ليس موقفا عابراً ، بل هو جزء من برنامجهم اليومي ، يستمتعون به في أوقات الأنس والاستجمام ، غافلين عن جريمتهم ، سادرين في غيّهم وضلالهم .

المبحث الرابع : ذكر حال الأبرار وما أعدّه الله لهم من النعيم المقيم .

وهذا السياق جاء مناسباً لموضوع التطفيف ؛ فبعد أن توعّد الله المطفِّفين بما سبق ذكرُه ، وذلك لكونهم أهلَ ظلم وبغي ، أردفه بالحديث عن الأبرار ، وهم أهل العدل والأمانة والوفاء بالحقوق ، وبيّن ما لهم من النعيم العظيم ، وفي ذلك من الردع لأهل التطفيف ومَن تُسوِّل له نفسُه معاقرة هذا المنكر ما لا

(٨٧) انظر : تفسير مقاتل بن سليمان (٦٢٥/٤) ، جامع البيان (٢٤/ ٢٢٦) ، الهداية الى بلوغ النهاية (٨١٤٤/١٢) ، النكت والعيون (٦/ ٢٣٢).

(٨٨) انظر : النكت والعيون (٦/ ٢٣٢) ، تفسير السمعاني (٦/ ١٨٤).

(٨٩) انظر : المحرر الوجيز (٥/ ٤٥٤) ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، البيضاوي (٥/ ٢٩٦) ، مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، النسفي (٣/ ٦١٧).

يخفى ؛ إذ إنه سيُحرَمُ من هذا الفضل والنعيم الباقي ، كما أن فيه تثبيتاً للذين يوفون الكيل ، ويؤدون الحقوق إلى أهلها بأنهم وإن فاتهم شيء من متاع الدنيا فإن الذي ينتظرهم في الأخرى خيرٌ وأبقى .

وفي هذه السورة الكريمة جاء ذكر الأبرار في مقابل ذكرِ الفجار أهلِ البخس والتطفيف ، وسمُّوا أبراراً لكثرة ما يأتونه من الصدق في أعمالهم وأقوالهم ، والصدق يقال له بِرّ[٩٠].

وبيّن تعالى أنه أكرمهم بعِدّة فضائلَ ، وهي على النحو التالي :

١- الثناء على كتابهم :

وذلك في قول الله تعالى :﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١ ﴾[المطففين: ١٨-٢١].

وكما أن الله تعالى ذَكَر كتاب الفجار بأنه في سجّين ، وأنه مرقومٌ قد سُطِّرت فيه كل مخازيهم ، فقد ذكر مقابل ذلك كتاب الأبرار وأنه في علّيين ، وأنه كذلك كتاب قد جُمِع فيه كل أعمالهم ، فلم يضع منها شيء .

وكتاب الأبرار جاء وصفُه بثلاثة أوصاف :

الأول : أنه (في عليين) ، واختلف في معنى عليين :

فقيل : في السماء السابعة ، وفيها مجمَع أرواح المؤمنين ، وهو قول ابن عباس.

وقيل : عند قائمة العرش اليمنى ، وهو قول كعب وقتادة.

وقيل : في الجنة ، وهو رواية أخرى عن ابن عباس.

وقيل : عند سدرة المنتهى ، وهو قول الضحاك.[٩١]

والاختلاف بين هذه الأقوال يسير ، فهي وإن تباينت بعض الشيء إلا أنها متفقة جميعاً على أن مكان كتاب الأبرار في الأعلى . وفي ذلك تشريف وإجلال لهذا الكتاب .

---

(٩٠) انظر : إعراب القرآن ، النحاس (٥/ ١١٢) .

(٩١) انظر هذه الأقوال جميعاً في : جامع البيان (٢٤/٤٩١-٤٩٢) ، التفسير البسيط (٢٣/ ٣٣٠-٣٣١) ، المحرر الوجيز (٥/٤٥٢) ، زاد المسير (٤/ ٤١٦) .

الثاني : أنه مرقوم ، أي مكتوب فيه كل عملٍ عملوه ، فما قدَّموه فهو أمامهم في هذا الكتاب، ما غُودِرَ منه شيءٌ ، وما نُسيَ منه مثقالُ ذرّة (وما كان ربّك نسيّا) . ومرقومٌ فيه – أي مكتوب- ما يَسرُّهم ويُبهجهم ، من قبولِ عملهم ، وما لهم من الجزاء والنعيم(٩٢).

وفي ذلك تحفيزٌ وشحذٌ للنفس لبذل العمل الصالح ، والعناية بفعل ما يجب فعله والقيام به على الوجه الأكمل الذي يرضى اللهُ به عن العبد.

الثالث : أنه يشهده المقربون .

والمقربون هم ملائكة كل سماء(٩٣).

وقال وهب بن منبّه :" المقربون هنا إسرافيل، فإذا عمل المؤمن عملَ البرِّ صعدت الملائكة بالصحيفة ، ولها نورٌ يتلألأ في السماوات كنور الشمس في الأرض ، حتى تنتهي بها إلى إسرافيل فيَختم عليها"(٩٤).

٢- بيانُ ما أعدّه الله لهم من النعيم في الآخرة :

وهو نعيمٌ يفوق الوصف، وجزاءٌ يفوق التصوّر!

ويتضح ذلك من خلال عَددٍ من الآيات الكريمة التي حوَت جملةً من المرغِّبات والمشوّقات لنيل هذا النعيم والتنافس في إدراكه . وهذه الآيات هي على النحو التالي :

أ- قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝٢٢ ﴾[المطففين: ٢٢].

وفي هذه الآية أمران مشوِّقان :

الأول : استخدام أسلوب التأكيد ، لبيان أن حصول هذا النعيم أمرٌ مؤكد لا شك في حصوله للأبرار.

يدلُّ على ذلك استخدام حرف (إنَّ) التي هي للنصبِ والتأكيد . وكذلك اقتران حرف الجرّ باللام المزحلقة في قوله (لفي نعيم) ، واللام المزحلقة أُتيَ بها هنا للتأكيد(٩٥).

---

(٩٢) انظر : التفسير الوسيط ، الواحدي (٤/ ٤٤٧) ، تفسير البغوي (٨/ ٣٦٧) ، مفاتيح الغيب (٣١/ ٩١).

(٩٣) انظر : الكشف والبيان (٢٩/ ٧١) ، المحرر الوجيز (٤٥٣/٥) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٤/١٩) .

(٩٤) انظر : فتح القدير (٥/ ٤٨٧) ، فتح البيان (١٥/ ١٣٤).

(٩٥) انظر : اللمع في العربية ، ابن جني (ص٤٢) ، شرح التصريح على التوضيح ، الأزهري (١/ ٣١١).

الثاني : في قوله (نعيم) حيث نكّرها فأفادت الإطلاق لتشمل مطلق النعيم .

وعلى ذلك فالنعيم هنا يشمل نعيم الدارين. فأما نعيم الدنيا فهو الطمأنينة والسكينة واستقرار النفس أو ما يُعبّر عنه بحلاوة الإيمان.وأما نعيم الآخرة فقد ذكر الله بعضاً منه في سياق هذه الآيات. وسيأتي بيانه.

ب- قوله تعالى :﴿ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[المطففين: ٢٣].

وهو مشهد جميل ، وتصوير بديع!

فأهل الجنة ينظرون وهم على أرائكهم متّكئون،في كامل الانسجام والراحة،وحسن المقام وطيب المجلس.

وعلى الأرائك يجلسون حديثهم عذبٌ ولا شيء لديهم يُشغِلُ

يتذكــرون حــوادث الدنيا التي صمدوا لها وعلى الإله توكلوا

طوبى لكم هذي منازلكم فما خابت مساعي من يجدُّ ويعملُ[٩٦]

ولم يذكرِ اللهُ جل وعلا إلى ماذا ينظرون؟

وحينما يأتي الإطلاق في القرآن فإنه يدل على عموم المتعلّق ، فهم ينظرون إلى النعيم الذي أعطاهم الله من القصور والحور والبساتين والأنهار، وغيرها من مناظرَ تسلب اللبّ وتبهج النفس[٩٧].

وهم أيضاً ينظرون إلى أعدائهم وهم يعذبون في النار -كما سيأتي بيانُه- لتشتفي صدورهم منهم ، ويفرحون بنصر الله لهم[٩٨].

وهم كذلك ينظرون إلى ما هو أجلّ وأنعم وأعظم من كل ما سبق ، وهو النظر إلى وجه الله الكريم ، كما قال تعالى :﴿ وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[القيامة: ٢٢-٢٣][٩٩].

ج- قوله تعالى :﴿ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ ﴾[المطففين: ٢٤].

أي : ترى في وجوه أهل الجنة النضارة والنور والحُسن والبياض[١٠٠]. وذلك راجعٌ لما استقرَّ في قلوبهم من السعادة والسرور بما أكرمهم ربّهم به ، كما أن الحزن يبدو أثره على الوجه في سواده وانقباضه[١٠١].

---

(٩٦) الأبيات من الكامل ، وهي للدكتور عبدالرحمن العشماوي . انظر : ديوانه : مشاهد من يوم القيامة ص(٢١).

(٩٧) انظر :جامع البيان (٢٤/ ٢٩٥).

(٩٨) انظر : زاد المسير (٤/ ٤١٦) .

(٩٩) انظر : مفاتيح الغيب (٣١/ ٩١) ، الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٦٤).

عن عليّ – رضي الله عنه – قال: "يساقون إلى الجنة، فينتهون إليها، فيجدون عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان تجريان، فيعمدون إلى إحداهما، فيغتسلون منها، فتجري عليهم نضرة النعيم، فلن تشعث رؤوسُهم بعدها أبداً، ولن تَغبرَّ جلودُهم بعدها أبداً، كأنما دُهِنوا بالدّهان، ويعمدون إلى الأخرى، فيشربون منها، فيذهب ما في بطونهم من قذى أو أذى"[١٠٢].

د- قوله تعالى ﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[المطففين: ٢٥-٢٨].

والمعنى أن هؤلاء الأبرار حينما يأخذون منازلهم في الجنة ، ويتكئون على أرائكهم المعدّة لهم ، وبين أيديهم من المناظر ما يبهر النفوس ويزيدها متعة وحبورا ، حينها يُدار عليهم ويُسقون خمراً صافية خالية من كل كدَر ، سالمة من كل عيب ، ختامُها المسك ، مما يزيدها لذة ومتعةً ، ويبعث في نفس شاربها انشراحاً وسرورا.

وقد ذكر الله عزّ وجلّ لهذه الخمر التي سمّاها (الرحيق) صفاتٍ عديدة تزيد من نفاستها ولذيذ شربها ، ومن هذه الصفات:

الأولى : أنها مختومة في قوله تعالى :﴿ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ ﴾[المطففين: ٢٥].

والمقصود بالرحيق المختوم :أي الخمر الصافية التي لا غشّ فيها ، وتكون في أكواب وقوارير مغلقة ، لا يفضّها إلا صاحبُها الذي أُعدّت له ، وهذا من تمام النعيم ، وحُسن التكريم[١٠٣].

الثانية : أنها ختامها المسك في قوله تعالى :﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌۚ ﴿٢٦﴾ ﴾[المطففين: ٢٦].

واختلف في المراد بهذا الوصف:

فقيل : الممزوجة بالمسك . وهو قول ابن مسعود وعلقمة[١٠٤].

---

(١٠٠) انظر : جامع البيان (٢٤/ ٢٩٥) ، الكشف والبيان (٧٢/٢٩) ، مفاتيح الغيب (٣١/ ٩١).

(١٠١) انظر : تأويلات أهل السنة (١٠/ ٤٦٤).

(١٠٢) انظر : جامع البيان (٢١/ ٣٣٩) ، تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٢٦٢) ، الهداية الى بلوغ النهاية (٤/ ٢٣٧٣).

(١٠٣) انظر : جامع البيان (٢٤/ ٢٩٥).

وردّه الطبري وقال : "الختم بمعنى المزج لانعلمه مسموعا من كلام العرب"(١٠٥).

وقيل : آخرُها وعاقبتُها مسكٌ ، فتكون رائحتها طيبة عند ختم شربها .

عن ابن عباس – رضي الله عنه – قال : "طيَّب الله لهم الخمرَ، فكان آخر شيء جعل فيها حتى تختم المسك"(١٠٦).

وعن أبي الدرداء –رضي الله عنه – قال: "شرابٌ أبيضُ مثلُ الفضة يختمون به شرابهم ، ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل إصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلّا وجد طيبها!"(١٠٧).

الثالثة : أن مزاجها من تسنيم في قوله تعالى :﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ٢٧عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾[المطففين: ٢٧-٢٨].

وتسنيم : مأخوذ من سنام الشيء ، وهو أعلاه ، وهي عينٌ في الجنة مكانها في علوٍّ ، أو أنها تصبُّ من علوّ(١٠٨).

قال عبدالله بن مسعود –رضي الله عنه –:" التسنيم :يشرب بها المقربون صِرفاً ، ويُمزج لأصحاب اليمين "(١٠٩).

وقال قتادة : " هي عين تجري في الهواء متسنماً فتصبُّ في أواني أهل الجنّة على مقدار ملئها، فإذا امتلأت أمسك الماءُ حتى لا يقع منه قطرةٌ على الأرض فلا يحتاجون إلى الاستقاء!"(١١٠).

وفي قوله تعالى :﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢٨﴾[المطففين: ٢٨].

---

(١٠٤) انظر : جامع البيان (٢٤/ ٢٩٦) ، المحرر الوجيز (٤٥٣/٥) ، مفاتيح الغيب (٩١/٣١) .
(١٠٥) جامع البيان (٢٤/ ٢٩٨).
(١٠٦) انظر : جامع البيان (٢٤/ ٢٩٧) ، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٣).
(١٠٧) انظر : الكشف والبيان (١٠/ ١٥٦) ، مفاتيح الغيب (٣١/ ٩١).
(١٠٨) انظر : جامع البيان (٢٤/ ٢٩٩) ، مفاتيح الغيب (٩١/٣١) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٦/١٩) .
(١٠٩) انظر : جامع البيان (٢٤/ ٣٠٠) ، تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٤١٠) ، التفسير البسيط (٢٣/ ٣٤٥).
(١١٠) انظر : الكشف والبيان (١٠/ ١٥٧) ، الكشاف (٧٢٣/٤) ، الجامع لأحكام القرآن (٢٦٦/١٩).

المعنى : عيناً يشرب منها المقربون[١١١].

قال الفراء:" (يشرب بها)، و (يشربها) سواء في المعنى"[١١٢].

وقيل : هذا من باب تضمين الفعل لمعنى زائد : والمراد : عيناً يرتوي بها عباد الله ، ويتلذذ بها ، فأضاف إلى الشرب معنى الارتواء والتلذذ[١١٣].

وكل هذه الأوصاف العجيبة للخمر تأخذ بمجامع القلوب،وتدعو للتشمير للفوز بها، والتنعّم بشربها ، ولهذا حثّ الله على التنافس لنيلها فقال :﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾[المطففين: ٢٦].

وهذا هو الميدان الذي ينبغي التنافس فيه ، والمسارعة والمسابقة في مضماره ، وما سواه من متاع الدنيا فإنما هو قبضُ الريح!

ولئن كان أهلُ التطفيف في الدنيا يتنافسون في تحصيل الدرهم والدينار ، ويتسابقون لاكتناز متاع هذه الدار وحطامها الفاني فإن الأبرار المتقين منافستهم في الباقيات الصالحات ، وافتخارهم إنما هو فيما يبقى لهم عند ربهم يوم يلقونه .

هذي المكارمُ لا قَعبانِ من لَبَنٍ شِيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا[١١٤]

هـ- قوله تعالى :﴿ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ٣٥﴾[المطففين: ٣٤-٣٥].

وهذه الآيات الكريمة التي خُتمت بها هذه السورة جاءت متّسقة مع بدايتها ؛ فإن المطففين كانوا يطففون على الناس ويُخسرونهم ويبخسونهم حقوقهم ، وكان ذلك منهم نوعَ مخادعة واحتقارٍ لعقولهم ؛ بما يملكونهم من الحيل والغشّ ؛ فكان الجزاء من جنس العمل ؛ إذْ صار المؤمنون في يوم القيامة يضحكون منهم ويسخرون بهم [١١٥].

ومثلهم مَن كان يضحك من المؤمنين بسبب إيمانهم ، وينتقصونهم ويسخرون من عقولهم ، وربما من فقرهم أو أنسابهم أو أشكالهم – على ما سبق بيانه- ، وكل هذا من البخس والظلم ، فكان جزاؤهم

---

(١١١) انظر : تأويلات أهل السنة (٨/ ٤٧٠) ، الكشف والبيان (١٢/ ٢٤)، معالم التنزيل (٣/ ١٢٦).

(١١٢) معاني القرآن ، الفراء (٣/ ٢١٥).

(١١٣) انظر : التفسير البسيط (٢٣/ ٢٤) ، البحر المحيط (١٠/ ٣٦١).

(١١٤) البيت من البسيط ويُنسب للنابغة الجعدي ، وانظره في : طبقات فحول الشعراء ، ابن سلام الجمحي (١/ ٥٨) ، الدر الفريد وبيت القصيد ، المستعصمي (٥/ ٤١٨) .

(١١٥) انظر : التحرير والتنوير (٣٠/ ١٩٣).

يوم القيامة أن انقلب عليهم مكرُهم وسخريتهم وسوءُ صنيعهم بالمؤمنين فصار المؤمنون هم الضاحكين الساخرين الشامتين!

وهذه الآيات نظيرها قوله تعالى :﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴿١١١﴾﴾[المؤمنون: ١٠٩-١١١] ويالَه من فوز!

يحكي الله تبارك وتعالى ذلك المشهد الذي تشتفي فيه صدور المؤمنين من أولئك المطففين المعتدين عليهم ، المستقوين بسلطانهم وأموالهم ، فيقول سبحانه :﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴿٣٤﴾عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴿٣٦﴾﴾[المطففين: ٣٤-٣٦] .

إنها آياتٌ مُسلِّية لكل مؤمن استوحش من غربة هذا الزمان ؛ حيث قلَّ الصالحون ، وكثر المبطلون ، وتمالأ أعداءُ هذا الدين على أهل الحق فآذوهم ، وسخروا منهم ، واتهموهم بكل نقيصة ، فيأتيه العزاء من الله بأن هناك يوماً ستكون فيه الغلبة للمتقين ، والدائرة ستدور على عدوهم ، ولكن أين؟ هناك ؛حيثُ الجنةُ التي لابؤس فيها ، والنعيمُ الذي لا شقاء معه ! هنالك يسخر المؤمنون من أولئك الساخرين منهم في الدنيا ، جزاءً وفاقا.

عن سفيان قال: " يُجاء بالكفار حتى ينظروا إلى أهل الجنة في الجنة ، على سرر، فحين ينظرون إليهم تُغلق دونهم الأبواب، ويضحك أهل الجنة منهم، فهو قوله: ﴿ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾[١١٦] [المطففين: ٣٤].

ويروى أن أهل النار يقال لهم : اخرجوا. وتُفتح لهم أبوابها، فإذا رأوها قد فتحت، أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إلى أبوابها، غلقت دونهم!"[١١٧].

(١١٦) انظر : جامع البيان (٢٤/ ٣٠٤) ، الهداية الى بلوغ النهاية (١٢/ ٨١٤٦).

وقال كعب الأحبار :" إن بين الجنة والنار كُوىً ، فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدوٍّ كان له في الدنيا ،اطلع من بعض الكوى ، قال الله جل ثناؤه : ﴿ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الصافات: ٥٥] ، وذُكر لنا أنه رأى جماجم القوم تغلي!"[١١٨]. نعوذ بالله من عذابه.

وهكذا يُسدَل الستار على آخر مشهد من مشاهد هذه السورة الكريمة بهذا السؤال :﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾[المطففين: ٣٦]. وهو سؤالٌ فيه تهكُّم وسخرية ؛ لأن الأصل أن الثواب يكون لجزاء فعل الخير فإذا استعمل في معرض فعل الشرّ فهو من باب التهكُّم ، وهو نظير الفعل (بشّر) كما في قوله تعالى :﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ ﴾[الانشقاق: ٢٤].

فيا كلَّ مطفِّفٍ ، ويا كلَّ باخسٍ للحقوق – حقِّ الله أو حقِّ خلقه – تداركْ نفسَك قبل فوات الأوان ، واعمل لآخرتك وملاقاة الواحد الديّان ، فإن اليومَ عملٌ ولا حساب ، وغداً حسابٌ ولا عمل!

وليتذكّر أولئك المستمتعون بما أخذوه من حقوق غيرهم أن متع الدنيا منقضية ، ونعيمها زائل ، وأن غمسةً في نار جهنم تنزيل لذائذ الدنيا مجتمعةً ، والموفق من وفّقه الله .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات،،،

(١١٧) انظر : التفسير الوسيط ن الواحدي (٤/٤٥٠) ، مفاتيح الغيب (٣١/ ٩٥).
(١١٨) انظر : جامع البيان (٢٤/ ٣٠٤) ، الكشف والبيان (٢٩/ ٨٨) ، الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٦٨).

أهم النتائج والتوصيات

يمكن حصر أهم النتائج التي توصل إليها الباحث فيما يلي :

١- التطفيف وبخس الحقوق ظاهرة بشعة وخُلُقٌ ذميم حذر منه الشرع المطهّر وحارب المتصفين به.

٢- التطفيف وبخس الحقوق ليس مقتصرا على ما يكون في مسائل البيع والشراء ، وإنما هو أوسع من ذلك ، ويشمل التطفيف في حق الله تعالى وحقوق المخلوقين الماديّة والمعنوية.

٣- أساليب القرآن الكريم في علاج الظواهر السيئة متنوّعة ، منها ما هو مباشر ومنها ماليس كذلك ، إلا أن كل تلك الأساليب لها أبلغ الأثر في علاج هذه الظواهر والحدّ من انتشارها .

وأما التوصيات :فنظراً لخطورة ظاهرة التطفيف ، والآثار المترتبة على انتشارها في المجتمع فإن الباحث يوصي بضرورة إجراء مزيد من البحوث والدراسات حول أسلوب القرآن الكريم في علاج هذه الظاهرة ، ولكون هذه الدراسة اقتصرت على سورة واحدة من سور القرآن فإن الموصى به هو تعميم الدراسة ، واستنباط أساليب أخرى من خلال ما ورد في السور الست الأخرى التي تحدثت عن هذه الظاهرة .

فهرس المصادر والمراجع

١) الدر المنثور ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الفكر ، بيروت (بدون تفاصيل أخرى) .
٢) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ،جار الله محمود بن عمرو الزمخشري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ هـ.
٣) الكبائر ، محمد بن أحمد الذهبي ، دار الندوة الجديدة ، بيروت (بدون تفاصيل أخرى) .
٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود محمد بن محمد العمادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت (بدون تفاصيل أخرى) .
٥) ديوان مشاهد من يوم القيامة ، عبدالرحمن صالح العشماوي ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ٢٠٠٢م.
٦) المفردات في غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني الحسين بن محمد ، تحقيق : صفوان عدنان الداودي ،دار القلم، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤١٢ هـ.
٧) التعريفات الفقهية ، محمد عميم الإحسان المجددي البركتي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
٨) طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلّام الجمحي ، تحقيق: محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة (بدون تفاصيل أخرى) .
٩) الدر الفريد وبيت القصيد ، محمد بن أيدمر المستعصمي، تحقيق : كامل الجبوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
١٠) معاني القرآن ، يحيى بن زياد الفراء ، تحقيق أحمد النجاتي وآخرين ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، الطبعة الأولى (بدون تفاصيل أخرى) .
١١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصاري ، دار صادر ، بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤١٤هـ.
١٢) إعراب القرآن ، أحمد بن محمد النَّحَّاس ، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم إبراهيم ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.
١٣) اللمع في العربية ، عثمان بن جني الموصلي ، تحقيق فائز فارس ، دار الكتب الثقافية ،الكويت (بدون تفاصيل أخرى) .
١٤) شرح التصريح على التوضيح ، خالد بن عبد الله الأزهري، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

١٥) تفسير القرآن = تفسير السمعاني ، منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م .

١٦) التسهيل لعلوم التنزيل ، محمد بن أحمد ابن جزي ، تحقيق : عبد الله الخالدي ، شركة دار الأرقم ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦ هـ.

١٧) روح البيان ، إسماعيل حقي بن مصطفى الخلوتي ، دار الفكر ، بيروت (بدون تفاصيل أخرى) .

١٨) لطائف الإشارات ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ، تحقيق : إبراهيم البسيوني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، الطبعة الثالثة (بدون تفاصيل أخرى) .

١٩) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

٢٠) الزهد ، وكيع بن الجراح ، تحقيق : عبد الرحمن الفريوائي ، مكتبة الدار، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م.

٢١) الزهد ، هَنَّاد بن السَّرِي ، تحقيق : عبد الرحمن الفريوائي ، دار الخلفاء ، الكويت ، الطبعة الأولى،(بدون تفاصيل أخرى) .

٢٢) تفسير التستري ، سهل بن عبد الله التُستري ، جمعه: أبو بكر محمد البلدي ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٢٣) مسند أبي يعلى ، أبو يعلى أحمد بن علي التميمي ، تحقيق : حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث، دمشق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م .

٢٤) محاسن التأويل ، محمد جمال الدين بن محمد القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ.

٢٥) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي ، محمد بن أحمد بن الأزهري ، تحقيق : مسعد عبد الحميد السعدني ، دار الطلائع (بدون تفاصيل أخرى) .

٢٦) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، أبو حاتم محمد بن حبان البُستي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ،الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

٢٧) فتحُ البيان في مقاصد القرآن ، محمد صديق خان الحسيني ، المكتبة العصرية ،بيروت ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢م (بدون تفاصيل أخرى) .

٢٨) الهداية إلى بلوغ النهاية ، مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد القيسي ، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي ،جامعة الشارقة ، بإشراف الشاهد البوشيخي ، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨م.

٢٩) ضعيف سنن الترمذي ، محمد ناصر الدين الألباني ، تعليق : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي، بيروت ، الطبعة الأولى ،١٤١١ هـ-١٩٩١م.

٣٠) الفردوس بمأثور الخطاب ، شيرويه بن شهردار الديلميّ تحقيق: السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م.

٣١) تفسير ابن فورك ، محمد بن الحسن بن فورك تحقيق: علال عبد القادر بندويش ،جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤٣٠ - ٢٠٠٩ م.

٣٢) تأويلات أهل السنة ، محمد بن محمد بن محمود الماتريدي ، تحقيق: مجدي باسلوم ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م.

٣٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج ، وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ، الطبعة الثانية ، ١٤١٨ هـ .

٣٤) تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن المزي ، تحقيق : عبد الصمد شرف الدين ،المكتب الإسلامي ، دمشق ، الطبعة الثانية ،١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٣٥) جمهرة الأمثال ، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، دار الفكر ،بيروت (بدون تفاصيل أخرى).

٣٦) نهاية الأرب في فنون الأدب ، أحمد بن عبد الوهاب البكري النويري ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ.

٣٧) تفسير مقاتل بن سليمان ، أبو الحسن مقاتل بن سليمان ، تحقيق : عبد الله محمود شحاته ، دار إحياء التراث ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.

٣٨) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، عبد الله بن أحمد النسفي ، تحقيق : يوسف علي بديوي ، دار الكلم الطيب، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٣٩) فتح القدير ، محمد بن علي الشوكاني ، دار ابن كثير، دمشق، الطبعة الأولى ، ١٤١٤هـ.

٤٠) الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م (بدون تفاصيل أخرى) .

٤١) سنن أبي داود ، سليمان بن الأشعث السجِستاني ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ،المكتبة العصرية، بيروت (بدون تفاصيل أخرى) .

٤٢) سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق:أحمد محمد شاكر وآخرين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الثانية،١٣٩٥ هـ ١٩٧٥م.

٤٣) صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار طوق النجاة ، بيروت ، ١٤٢٢ هـ.

٤٤) تفسير عبد الرزاق ، عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق: محمود محمد عبده ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ .

٤٥) النكت والعيون ، علي بن محمد الماوردي ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت (بدون تفاصيل أخرى) .

٤٦) صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج القشيري ، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٥ م.

٤٧) الزواجر عن اقتراف الكبائر ، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م .

٤٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م.

٤٩) لباب التأويل في معاني التنزيل ، الخازن علي بن محمد الشيحي تحقيق :محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.

٥٠) مصنف عبدالرزاق ، عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق :حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٣هـ.

٥١) معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر ، دمشق ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م (بدون تفاصيل أخرى).

٥٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول ، ابن الأثير المبارك بن محمد الجزري ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط ، مكتبة الحلواني ، مكتبة دار البيان ، الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ – ١٩٦٩م.

٥٣) ديوان البحتري ،تحقيق:حسن كامل الصيرفي ،دار المعارف ،القاهرة ،الطبعةالثالثة(بدون تفاصيل أخرى).

٥٤) شرح مشكل الآثار ، أحمد بن محمد الطحاوي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ- ١٤٩٤ م .

٥٥) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥ م.

٥٦) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ،١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م.

٥٧) مصنف ابن أبي شيبة ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ .

٥٨) الزهد والرقائق ، عبدالله بن المبارك المروزي ،من رواية الحسين المروزي ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي (بدون تفاصيل أخرى) .

٥٩) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي ، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، دار المعرفة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٦٠) شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : عبد العلي عبد الحميد ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٦١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد ، أبو طالب المكي محمد بن علي الحارثي،تحقيق :عاصم إبراهيم الكيالي ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ٢٠٠٥م.

٦٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير المبارك بن محمد بن محمد الجزري ، تحقيق: طاهر الزاوي - محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٦٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني ، مكتبة السعادة ، القاهرة ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٦٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، إبراهيم بن عمر البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة (بدون تفاصيل أخرى) .

٦٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ،١٤٢٢هـ.

٦٦) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، تحقيق :علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٦٧) البحر المحيط ، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي تحقيق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ (بدون تفاصيل أخرى) .

٦٨) زاد المسير في علم التفسير ، عبد الرحمن بن علي الجوزي ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ .

٦٩) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور ، الدار التونسية ، تونس ، ١٩٨٤م (بدون تفاصيل أخرى) .

٧٠) سنن ابن ماجه ، عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة (بدون تفاصيل أخرى) .

٧١) السنن الكبرى ، أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٧٢) صحيح الترغيب والترهيب ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

٧٣) الصحيح المسند من أسباب النزول ، مقْبل بن هَادِي الوادعي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، الطبعة الرابعة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

٧٤) أسباب نزول القرآن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق: عصام الحميدان ، دار الإصلاح ،الدمام ، الطبعة الثانية ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٧٥) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق : عدنان درويش - محمد المصري ، مؤسسة الرسالة - بيروت . (بدون تفاصيل أخرى) .

٧٦) معالم التنزيل في تفسير القرآن ، الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق : محمد عبد الله النمر وآخرين ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧م.

٧٧) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أحمد بن إبراهيم الثعلبي، تحقيق: صلاح باعثمان وآخرين ، دار التفسير ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٦ هـ ٢٠١٥ م .

٧٨) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، عدد من المختصين بإشراف د.صالح بن عبد الله بن حميد ، دار الوسيلة ، جدة ،الطبعة الرابعة (بدون تفاصيل أخرى) .

٧٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ،دار المعرفة ، بيروت،١٣٧٩هـ.

٨٠) الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها ، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي ، مطبعة سفير ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م .

٨١) مسند أبي داود الطيالسي ، سليمان بن داود الطيالسي ، تحقيق:محمد بن عبد المحسن التركي ، دار هجر ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

٨٢) إحياء علوم الدين ، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م (بدون تفاصيل أخرى) .

٨٣) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير ، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني ، مطبعة بولاق ، القاهرة ، ١٢٨٥ هـ (بدون تفاصيل أخرى) .

٨٤) البيان في عدّ آي القرآن ، عثمان بن سعيد الداني تحقيق: غانم قدوري الحمد ، مركز المخطوطات والتراث ، الكويت ، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

٨٥) الموطأ ، مالك بن أنس ، تخريج وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٥ م.

٨٦) معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن السري الزجاج ، تحقيق :عبد الجليل عبده شلبي ، دار عالم الكتب ،بيروت ،الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م.

٨٧) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ،علي بن أحمد الواحدي، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وآخرين ،دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.

فهرس الموضوعات

العنوان	الصفحة
مقدمة	الصفحة
تمهيد (بين يدي السورة)	٤
المبحث الأول : اسم السورة وترتيبها في القرآن وعدد آياتها	٧
المبحث الثاني : هل السورة مكية أم مدنية؟	٧
المبحث الثالث : سبب نزول السورة	٨
المبحث الرابع : فضل السورة	٨
الفصل الأول : معنى التطفيف وحكمُه	٩
المبحث الأول : معنى التطفيف	١٠
المبحث الثاني : حكم التطفيف ، والتحذيرُ منه	١٥
الفصل الثاني : علاج ظاهرة التطفيف في سورة المطففين المبحث الأول : التهديد والتخويف بالعذاب	١٨
المبحث الثاني : التذكير باليوم الآخر ، وبيان ما يكون فيه من أهوال	٢٥

المبحث الثالث : تبشيع صورة المطففين ، وبيان سوء صفاتهم	٢٩
المبحث الرابع : ذكر حال الأبرار وما أعدّه الله لهم من النعيم المقيم	٣٧
أهم النتائج التوصيات	٤٥
فهرس المصادر والمراجع	٤٦
فهرس الموضوعات	٥٢